أول الفرح

"نصوص نثرية"

خيرية فتحي

obeikan.com

أول الفرح
خيرية فتحي / كاتبة ليبية
الطبعة الأولى عام 2016
ISBN978-977-6445-92-5
رقم الايداع/2016/25286

All rights reserved. No part of this book may be reproduced, stored in retrieval system, or transmitted in any form or by any means without prior permission in writing of the publisher.

جميع الحقوق محفوظة. لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو تخزينه في نطاق إستعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال، دون إذن خطي مسبق من الناشر.

غلاف : NileDesign.com
دار الابداع للنشر والتوزيع
موقع دار الكتب
أبراج عثمان- كورنيش المعادي
القاهرة - مصر
هاتف: 01002052266
E-mail: info@daralkotob.com
www. daralkotob.com

obeikan.com

أول الفرح

obeikan.com

obeikan.com

الإهداء إلى

أمي

وكل أسرتي

صديقتي الغالية فاطمة جابر

obeikan.com

obeikan.com

إهداء خاص

إلى روح والدي ... فتحي عبد الجليل

ثـق بـأن حضـورك كثيـف ، شاسـع ، واسـع وممتـد ، يُـدلي بدلـوه كل ليلـة عنـد اقـتراب المسـاء ، يطهـره ، يطهـر المسـاء مـن الوجـع والحـزن ، يمسـح الكآبـة والضجـر والوحشـة ، يمـلأ ردهـات الـروح بالحنـين ويفيـض ليـوزع الحـب عـلى مسـارات القلـب والفجـوات وفي العـروق والمزالـق الوعـرة والممـرات المحفوفـة بمخاطـر الشـوق والدهشـة فتنتـشي كل السُـبل بشـذاه الطيـب المتفـرد ، يوصـل الوريـد بالوريـد ، ويقطـع الحلـم بالحلـم، يؤجـج المسـاء ، يعكـر صفـو الليـل ، يزلـزل ، يزمجـر ثـم يمـضى بعـد أن يوقـد شـهوة اللقـاء في الجسـد المرتعـش شـوقاً بغـزارة .

شـذى حضـورك المريـب يفتـك بي ، إطلالتـك السريعـة رغـم أتسـاعها تجعلنـي أنفصـل عـن العـالم ،عبـورك الخاطـف يخلـب لـب المعـاني ، يشـعل حرائـق اللحظـات باللهفـة والبـوح فأنصـب فخـاخ قلمـي ليلـة كاملـة ، أتصيـد قصائـدي وانسـكب بحذافـيري مـع الحـبر وأسترسـل أكتـب باسـمك قصـار السـور الرفيعـة ، أنقش قطـرات القصائـد والـورد خلـف ظـل المسـاء وأنـا أترصـد خطواتك

المبتعدة خلف أثرك ، أتنفس الطيب و أفتك بالورق وبكل الأشياء من حولي ، أبعثر زينة حروفي ، أزرع رعشة القلب ونبضه في كل الكلمات ، أصب كل حرائق الحنين فوق السطور ، أنسج المكائد لليل والحلم والغفوة والغياب وأكشف عن مكامن اللهب بين الفواصل ومؤامرات الشجن خلف علامات الاستفهام والسؤال السريع عن الحال.

obeikan.com

المقدمة

تباغتنا خيرية فتحي عبد الجليل مع ولادة كل خاطرة بمفردات رائعة وتأبى مع سبق الإصرار والترصد إلا أن تبهرنا بالعبارة الشهية في كل نصِ جديد.

لقد أتاح لي حسن الطالع أن أشهد بداياتها الأولى من خلال صحيفة الجبل الأخضر والتي كانت تمثل نقلة نوعية في تلك الفترة بما طرحته من قضايا جريئة وتحقيقات مهمة وأذكر أن الكاتبة خيرية فتحي كلفت بالإشراف على صفحة مخصصة للمرأة أطلق عليها زميلنا الناجي الحربي "واحة النصف الأخر" و التي كانت من الزوايا المحببة للقراء وحظيت بمتابعة عالية .

ومنذ تلك الآونة أصبح ظل" واحة النصف الأخر " ملازماً للكاتبة خيرية فتحي فقد وجدت فيه فضاءً ومتنفساً لبوحها الجميل فمن خلال واحتها الوارفة تشكلت هذه اللغة المتميزة للكاتبة والتي غذت الآن من أروع وأجمل الأقلام النسائية التي تكتب الخاطرة الرومانسية التي نفتقدها في هذه المرحلة فمن المهم أن نشعر نحن الرجال بأن ثمة أنثى تخاطب وجداننا بهذه اللغة الرفيعة.

والآن هـا هـي تضـع بـين أيدينـا كتابهـا الأول " أول الفـرح" والـذي يمثـل همسـة البـوح المعلنـة لخيريـة فتحـي عبـد الجليـل لتضيـف مـن خلالهـا للمكتبـة الليبيـة مسـاحة أخـرى مـن الوهـج الأنثـوي الجميل.

فوزي الغويل

obeikan.com

(1)

أحـاول فـك رمـوز حالتـي وتفسـير سر تعلقـي الغامـض بـك... وقـراءة نبضـات قلبـي نبضـة .. نبضـة .. نبضـات لم تكـن كالنبضـات ورمـوز سرقـتْ منـي كل الليـل وقذفـت بي عنـد حافـة عتبـة الفجـر أتوسـد الحـيرة وألتحـف بالغمـوض الـذي يتكاثـف وتـزداد درجـة اكتـوائي بالهزيمـة والخـذلان .

وحالـة اسـتثنائية لم أفلـح في القبـض عـلى نهايتهـا ظلـتْ معلقـة تتهـاوى كقطـرات النـدى عـلى صـدى الكلـمات ورنـين الحـروف والأبجديـة المعلقـة المتأرجحـة في الذاكـرة.. أو كريشـة في مهـب ريـح يـوم عاصـف .

كنـتُ أبحـدث عـن نهايـة لقصـة حـب لم تكـن متداولـة بـين النـاس.. يبـدو أننـي اشـتهي اسـتحضار المفجـع والمسـتحيل.. اتكـئ عـلى حافـة درج مكتبـي.. الفـوضى تعـم سـطحه.. مبعـثرة نفـسي كأوراقـي .. والنهايـة تسـتعصي عـلى أبجديتـي... أثارتنـي سـطوتك عـلى الذاكـرة فجننـت أسـطر ملامحـك عشـقاً عـلى الـورق.. وأنقش أنفاسـك في دفـتر خواطـري .. وأقبـض عـلى نـبرات صوتـك لأحيلهـا

إلى كلـمات.. يـا ربـك هـل لي بترجمـة نـبرات صوتـك وتحويلهـا إلى نحـت عميـق.. عندمـا أشرع في كتابـة نهايـة هـذه القصـة يسـتيقظ فيَّ كل الحنـين القـادم مـن أغـوار بعيـدة ويسـبقني المسـتحيل ويختـم يوقـع ثـم يبصـم لتبقـى النهايـة مفتوحـة عـلى أمـل وجـرح وحنـي .

opeikan.com

(2)

أعيش عذابات الاحتمال والفرض والسؤال... كسور وأجزاء لا تصل إلى الواحد الصحيح... مهما تعاظم أنيني.
تتقافز كسور الاحتمال إمامي ولا استطيع لملمتها لأصنع منها الواحد الصحيح... وأصل إلى نهاية حبك كي أرتاح.
كسر في الذاكرة وكسر في القلب وكسر في الروح... شروخ وأجزاء لا تلتئم هي محصلة رحيلك وعزلتك وغربتك وابتعادك.

التفتُ صوب الشمال.. علني أتعلم لغة أخاطبك بها... علمتني بلغة الشمال الباردة أن حبك استحقاق.. سبق في صحف مليئة بالأرقام والاختراعات وسباق مع زمن هارب بسرعة الضوء وتعلمتُ من لغتي الرومانسية الهشة كيف أتلقى انكسارات ذاتي المهشمة وكيف أحاول ترميمها وجبرها لو بطريقة خطأ على حبك .

سيد اللحظات .. شتان ما بين لغة تحنو عليها الهمزة وتدفئها الضمة وتحميها الفتحة وتهدئ من روعها السكون ... وتضغط على جروحها الشدة... وتلملم شتات روحه الكسرة وبين لغة

بـاردة لا نقـاط لا حـركات فيهـا ولا شـجون.

لغتـي إليـك.. تـلاشي لحظـة غامضـة مسروقـة مغموسـة بالنشـوة وتكسرهـا عـلى مسـامعك وتماهـي شـعور غامـض مـن الصعـب فـك رمـوز سره وانكسـاره أمامـك عـلى حائطـك.

ولغتـك أغلقـت كل أبوابهـا وضاعـت مفاتيحهـا بـين الجمـود وعلامـات الاسـتفهام.

أطرقـتُ رأسي... كتبـت عـلى حائـط... لا أقبـل بإنصـاف الحلـول لا فائـدة مـن جمـع أجـزاء الكسـور التـي كتبـت بلغـة أهل الشـمال الافتراضيـة ولا سـبيل لحـل معادلـة لا تعطـي نواتجهـا الواحـد الصحيـح.

سجلت الخروج ..

ونمـتُ مرهقـة عـلى صـوت أزيـز الحاسـوب الـذي لم أحـاول إيقـاف تشـغيله .

(3)

أغـوص في عبثيـت... أشـكل الكلـمات عـلى هـواي.. أكـسر وأفتـح... وأضـع الشـدة والسـكون وأُضـم حبك... أشـكله بطريقتي وفـق مزاجـي المتقلـب... تعبـتْ الأبجديـة مـن طيـشي... أتقلـب في فـراشي وفي خاطـري أضـع خطـة جهنميـة للفتـك بالكلـمات وحرقهـا بمزيـد مـن نـار التيـه والحـب والحنـين... لم تجـد كلـماتي سـبيل للتـوازن غـير هـذا الحـب فاتخذتـه العـزاء الوحيـد لهـا كلـما زاد جنـوني بـك... فانصاعـتْ لي مرغمـة... وجاءتنـي مستسـلمة طائعـة... ارتمـت تحـت قدمـي سـن قلمـي طالبـة منـي رفـع ظلمـي وحماقـاتي وجنـوني عنهـا .

لم تكـن هنـاك أي حكمـة في تجرعـي للكلـمات والتهامـي لهـا بشراسـة عاليـة وبحثـي عـن الغائـب والمسـتحيل منهـا وإجبارهـا عـلى الرضـوخ لي والسـير وفـق أهـوائي وأهـوال حبـي وهواجـسي وتوجـسي وتخيـلاتي... تطويـع أبجديتـي أعظـم محنـة لكلـمات مسـتحيلة و صارخـة بالتمـرد والعصيـان وأكـبر معانـاة لـذاتي التـي لا تشـتهي إلا الطائـش والمجنـون والمتطـرف مـن الحـروف وترتيبهـا لتوافـق رغبتـي المحمومـة في التميـز بكتابتـك وبحبـك

وعشـقك واليتـم بـك .

صوتـك وحـده مـن يعتـق كلـماتي مـن العـذاب وأبجديتـي مـن نـار جهنـم لحـب كبـير لم تسـتطع الحـروف إليـه سـبيلا... فـدع قلمـي يسـقط عـلى نـبرات صوتـك الحزينـة .

وتحدث إليَّ ما استطعتَ إلى ذلك سبيلا .

obeikan.com

(4)

تسـترتْ بثـوب حكمـة قديمة..تـوارتْ خلـف قـول مأثـور ..سـكنتْ إثـر قصـة عابـرة.. تنهـدتْ.. هتملـتْ.. هسهسـتْ قبـل أن تعيـد عـلى مسـامعي الحكمـة القديمـة... "وفـوق كل ذي علـم عليـم".. أصفـر وجههـا.. صرخـتْ.. تصارعـتْ مـع الصمـت أمـداً طويـلاً ضربـتْ بالصمـت عـرض الحائـط.. فتحـول الصمـت إلى لغـة عصيـة.. باحـتْ بالـسر كلـه.. تحدثـتْ عـن حطـام إنسـان وبقايـا عاطفـة.. صارعـتْ ألمـاً لم يتحملـه قلـب في الدنيـا.. حملـتْ ثقـلاً نـاءت بحملـه الجبـال اسـتثقل الحمـل سـنوات عديدة.. واسـتفحل العـبء.. تحملـتْ قمـة الوجـع لبنـات تتـأوه في متاهـات الغربـة.. فتولـد الأجنـة نـوراً وألقـاً ونـاراً بعـد مخـاض عسـير بلـغ حـداً لا يطـاق في مواسـم الخصـب.. هسهسـتْ إثـر الـولادة بفجيعـة مـن كـثرة تحديـق النظـرات الزائغـة ورشـق العيـون التائهـة لهـا واكتـوت بنـار حكايـات العشـق القديمـة وحكـم الآفلـين.. وأقـوال عابـري السـبيل.. امتـلأتْ بهـا ذات اختـلاء.. وتألمـتْ.. تألمـتْ حـد الجنـون ناحـتْ بـالألم في مواسـم الجـدب والجفـاف.

تألقتْ وهجاً في مواسم أخرى. .حملتْ أهوالاً رغم هشاشة البدن الهزيل .

ذات لحظة من موسم جدب لم يتحمل هذا الجسد الرقيق الفراق واشتاق إلى مشاكسة الصمت.. اشتاق إلى البوح وعندما لم يستطع إلى ذلك سبيلا .

أقترب الجسد الضئيل من شعاع شمعة ضئيلة وأحترق في صمت .

opeikan.com

(5)

تتدفق داخل قلبي

بكثير من اليقين.. بكثير من الصدق.. بكثير من الإيمان..

تتدفق بيسر.. بنعومة.. بعفوية.. تسكنه وتمكثُ فيه مادام حياً.

كم هو مؤلم أن تستعيد ملامح طيبة لشخص يتدفق كل لحظة وكل ثانية في القلب.. تستعيده كل ثانية تسحبه من غربته.. وتستحضر صوته من مدينة بعيدة دون أن تملأ عينك منه.. أو تمتلئ حباً لسماع صوته.. أو تُسكت جوعاً هائلاً إليه.

سيدي أن ألم القلب لا يطاق .. ولم أعد قادرة على تحمل هذا الخواء الفاجع الذي تتركه عندما تسحب البساط من تحت رجليّ بهدوء وترحل دون أن تترك أثر .

سيد اللحظا.. هناك شيء ما يربطني بك بشد.. ربما رائحة تربة ما تشعرني بالحنين إلى وطني.. أو حروف مقدسة ضائعة من كتاب ما.. وربما زقاق ضيق من أزقة مدينتي.. أو متكأ.. أو وليّ صالح يذكرني بك.. ولم أكن أعلم بأنني قد أصبْتُ بك.. ومن الصعب التخلص منك.

(6)

تخذلني الكلمات.. تخبئ عميقاً سحرها.. تشاكسني.. تتمرد.. تعصي أوامري.. تتعالى عليَّ.. تغلق أبوابها في وجه .. توصد نوافذها أمام جنوني.. أكتب.. أمزق.. أرتعش.. ولا قوة لدَّي للوصول إلى نهاية النص.. أكتب.. أمز .. تقهقه سلة المهملات في الزاوية البعيدة تتلقف أوراقي الممزقة.. باشتهاء.. تحتضنها بشهوة غريبة.. تهتز طرباً وشماتة

سيدي أمش بهدوء على حواف كلماتي المعربدة.. وحذار أن توقظ الحنين فيها.. واحترس إن تفتش مخابئ الكلمات فإن فيها شوقاً شرساً لا يرحم.. ولا يطاق .

سيدي لقد تركت لي وشماً في الكلمات.. تركتَ رسماً.. كلما أحببتُ غيرك تخلتْ عني كلماتي.. اقتصتْ مني.. ولعنتني إلى يوم يبعثون.

ينكسر القلم.. تهتز سلة المهملات تكتم ضحكة تفلت رغماً عنها .. أنزع الورقة الأخيرة من دفتر خواطري.. أتنهد بعمق لا أرمي بالورقة.. أطويها عدة طيات وأدسها في جيب سترتي ... تنفجر سلة المهملات ضاحكة .

obeikan.com

(7)

تركت بصماتك فوق ملصقات غرف القلب وابتعدت.. شوهت ذاكرته بدلت أحواله.. غيرت تضاريسه.. أنحدر الآن نحو الهاوية المفجعة في كفي بقايا كلمات.. وفي قلبي بعض الخيبة.. وعلى رأس لساني صرخة ولا من مجيب. أخبئك كممتلك خاص داخل ثنايا القلب.. أدرس أوراق ملكيتك وحقي فيك داخل كرَّية حمراء وفي منعطف صفيحة دموية.. يصاب قلبي بالضغط الشديد جراء خفقانه بفعل غصَّاته المتكررة.

قطرات الحبر الموجودة في حروف أبجديتي هي صرخات وآهات وأنين.. حكايات قديمة.. خيبات.. لحظات.. أسئلة شائكة.. أستحالات.

دقات قلب مسكين ..هذا القلب الذي علمني كيف أتفرس في وجوه الكلمات وأختلس النظر إلى الحروف تارة أرشقها بنظرات نارية عدوانية وأخرى حانية ودودة حزينة.. قطرات الحبر الموجودة في أبجديتي هي دماء هذا القلب المسكين التائه ودقاته.. قطرات حبري هي صوت سقوط الندى..أنين

شعاع الشمس الراحل وصوت حرائقي.. زلازل .. وبراكين..وصوت تكسر دمعتي على الورق.. جملاً متعاقبة تتقطع لها الأنفاس كنتُ داخلها ولم أكن فيها...كان وجودك يسحب أبجديتي من القلب المتعب سحباً ويلقيها بعنف على الورق.. وكنت تنزلق براحة كبيرة على حواف الكلمات ترشقني بالابتسام.. تتنفس بعمق وارتياح.. وتغادر بهدوء.

obeikan.com

(8)

أرصد حضورك .. وصل عدد كؤوس قهوتي المليون ولم تحضر .. أنتظرك وأنا أتأرجح خارج أسوار غربتك أكتب تفاصيل كآبتي على الجدران وشوارع المدينة وعلى الورق وحتى على أثر العابرين على الإسفلت.. آه كم كنتُ شرهة وصادقة في رسم مشاعري على أي شيء وبأي شيء يقع في يدي بالحبر.. بالطباشير

بالطين..بالفحم.. بالدموع بأي شيء

ثم فجأة لا شيء.. أنهار قلبي فهوى كشذرات فضة على الورق.. انسحبْ كلماتي.. جلستْ في الخلف.. تدير ظهرها لي و تراقب المكان.. خطى القلم عدة خطوات.. صار بعنجهية ونحت بتكبر علامات.. إشارات.. رموز.. تعاويذ.. صور وأشياء مبهمة لكنها لم تكن كلمات .

القلم لا حبر فيه.. تغضن وجه الورقة.. صار بياضه باهتاً شاحباً.. تمزق الوجه فقد كانت الكلمات في الخلف تندب حظ رحيلك عن القلب.

obeikan.com

(9)

حمل بين يديه بعض الكلمات.. بعض الحكايات.. وحفنة من الأخبار.

يمم وجهه شطر الشمس.. وقرأ الأشعار على مسامع الوطن الشاس .

كان يتلو صلوات أشعاره .. وفي قلبه خوف ودهشة وتساؤل..

شعاع ضوء ضئيل ينكسر في هدوء ويتحول إلى شلال من الألوان المبهجة ... موجة تتكسر عند حافة شاطئ مهجور.. نغمة حزينة هاربة دافئة حنونة تغازل قلب منهك..

كان شعره معبأ بالحنين يتكسر عند حواجز الغربة وينعكس على صفحة موجة تتكسر وتتبعثر كمرآة تتلألأ عند أقدام شواطئ الوطن .

ملأ قلبي بكلماته.. كانت أشعاره شموس.. أشرقتْ داخل حياتي.

(10)

ركضتُ طويلاً نحو وطن أبتعد عني كثيراً.. قبضتُ على حفنة تراب كانتْ برائحة المسك وعطر وليّ صالح.. كنتُ أبنته..

ابنة ذاك الجبل الذي اعتصم بحبل الله.. كفر بالطاغوت وأستمسك بالعروة الوثقى واستنصر للأجداد في حروبهم الطويلة ضد الطغاة.

عفرتُ وجهي بالتراب.. جئته أرتجف وجداً.. وحباً وخوفاً

جثوت عند قدميه استمع إلى وشوشته المريبة .. وهمساته المحفوفة بالغموض.. كنت استمع إلى وقع خطوات الأولين الآفلين الرتيبة..

قلتُ في خشوع

أنا جارتك أنا أبنتك .. كنتُ أتساءل ولا أنتظر إجابة.

- أبتاه كلما ركضتُ نحو وطني كلما أزداد ابتعاداً .

لكن الجبل الجليل رفع يديه إلى السماء.. ترنحتْ هامته

الشـامخة طويـلاً .

تغنـى بالفجيعـة.. ارتـدت سـجنته ثـوب الوجـوم الخالـد زفـر طويـلاً.. زفـر زفـرة موجعـة بصـوت ريـح عاتيـة.. قبـل أن يدمـدم بصوتـه الجهـوري

-السر يكمن في تميمة يطلق عليها الحكماء أسم "الإخلاص"

ثم ســـــــــــاد سكون وغموض ورهبة .

obeikan.com

(11)

سأتوقف عنك ..عن التنفس .. عن الفرح.. عن الكتابة ..عن الحلم .. عن كل شيء .
سأتوقف حتى أتلقى منك رداً.

أقوم حافية القدم والروح والذاكرة ...أنتفض ليلاً .. أتحسس الوجود .. وجودك .. أتفرس الوجوه والناس.. الأشياء والكلمات.. أستغرب بعض الوجوه وبعض الأشياء وبعض الحروف...

استغرب وجوه بعض الناس وأستغرب وجودي بدونك

وكأني بدونك خطأ طارئ وحتى الآن لم أتلقى منك رداً...

معاً استمعنا إلى أنين الكلمات في أبجدياتنا المرتعشة .. و معاً اكتشفنا حروفاً أخرى تتعدى اللامعقول في الكلام .. معاً صنعنا للدهشة لون وللخشوع مذاق وللرهبة طعم .. وللاستغراب والتساؤل ألف معنى .. وللحب رائحة لا نخطئها ..

أمامنا امتزجت المعاني ..اختلطتْ العبارات... كان هناك صلاة

ركعاتها بعدد المليار من المليار ركعة في الثانية .. وكنتَ هناك تصلي في عزلتك .

وأنا خلفك ألهج بدعاء طويل

يا ربك فأعلم لقد رأيت..

ثمانية وعشرون حرفاً لنا ساجدين

فلماذا لا أتلقى منك رداً؟

obeikan.com

(12)

صوت يتسرب متسللاً إلى القلب.. يشق الذاكرة في الصباح الباكر.. يغطي على كل شيء.. مسمعي يغتسل بهذا الصوت النقي وكذلك قلبي..

كل حواسي سجدتْ له.. جمدتُ في مكاني ساكنة.. أترقب شيئاً ما .. شوارع مدينتي تلتهم خطوات المارة والسابل وعابري السبيل وأنا ألتهم هذا البهاء الذي يأتي في هيئة موجات صوتية.. نبرات حنونة ويدخل خلسة إلى أعماق الروح..

مئذنة "رويفع الأنصاري" مرهفة السمع.. الصدى يشق السماء.. يتردد مع نبرات الصوت الشجية.

"كماه ذيبلة رداه جحدا صاف شاكابه وحل"

رجل حبيس ذاكرة يتأوه مع الصوت.. عابر سبيل يصرخ.. امرأة تبرز تتطلع إلى أعلى تبعث عن مصدر الصوت.. ثم يلتهمها منعطف .. وأنا وحدي أقف في شرفتي المطلة على الشارع أغتسل ببهاء النبرات وأكتم حنيناً لا يطاق.. والبيضاء كعادتها تختلس النظر إليَّ وتصيخ السمع.

obeikan.com

مدينـة الأعـراس والفـرح والبهـاء .. شيء في هـذا الصـوت الجميـل يصعـب القبـض عليـه .. يقـول الكثـير والكثـير .. أخـذني بيـدي مسـلوبة الإرادة.

إلى هنـاك .. صعـدت رعشـة مـن القلـب ... وامتـدتْ لتشـمل باقـي ا لجسد

رأيـتُ امـرأة عظيمـة ..لا أتذكـر إلا أناملهـا الموشـومة بتعاويـذ الحـب وهـي.. تحصـد.. تـدرس.. تـذري.. تطـح.. تجعلـه دقيقـاً ثـم تغربلـه وتعجـن وتطعـم كل بيوتـات النجـع الجائـع.. وأنـا تائهـة.. هائمـة.. أتلـوى صريعـة هـذا الصـوت الـذي يرتعـش لـه القلـب وتخشـع لـه منابـر المدينـة.

(13)

ضاعتْ كل الاتجاهات ... وكل الطرق تؤدي بي إلى حتفي .. شرد الذهن وزاغتْ النظرات ... عند مفترق طرق الجنون أكتب أسم أعشقه وعلى حافة الحنين أكتبك بأنفاسي حروف حزينة تبدو الكتابة بخط متعرج .. تبدو باهتة .. تقرأ بصعوبة أنفاسي اللاهثة .. المتلاحقة ... لكنها كلمات التي لا تزرع في القلب إلا الدهشة .. والدفء ..والرهبة لا تقبل الاستعارة ولا التشبيه ولا التطابق ... أنها التي لا تخضع حتى لحركات الإعراب .

كلمات لا تطعن القلب إلا بمزيد من الحب والقلق والخوف والتأمل.

سيدي.. سيد اللحظات الهاربة.. لماذا علمتني إدمان هذه الأبجدية بنهم كبير..؟ لماذا علمتني كيف أتهجى الكلمات بشراهة مخيفة ..؟ لماذا سرقت كل وقتي وتركتني.. أهجر الدنيا وأعتزل العالم من أجل الصلاة في محراب كلمة؟ لماذا جعلتني شرسة في الفتك باللحظات التي لا تكون إلا بين دفتيّ

كتـاب حـب.؟

أيعقـل أن تُلتهـم كلـمات الحـب بنهـم وشراسـة.. ويُقبـض عليهـا متلبسـة بالجنـون داخـل أوردة قلـب ضعيـف.. مختبئـة بـين خلايـا الـدم في جسـدي المنهـك؟

أيمكـن أن تتغـير بصمـة أصبعـي.. لأخـترق كل حسـابات الدنيـا باسـمك وأذيـل كل الرسـائل ببصمتـك.. وأصرف كل مـا في جيبـي مـن حـب بتوقيـع أنفاسـك وخطواتـك و توقيـت دقـات قلبـك. سـأجّن.. وسـأفعلها لتصحـو مدينتـي ذات صبـاح عـلى بصمتـك وهـي تزيـن كل جـدران المدينـة .

(14)

كتلة ملتهبة من الكلمات.. والأشواق والحكايات.. والحنين والأبجدية المغسولة والمتعطرة بالعشق.. والمتلبسة بالجنون أنا ذات لحظة صفاء أردت التوبة عن هذه الخطايا والرجوع إلى ذاتي بكلمات بريئة منك ..وعند حقي في التلاشي داخلك حبيباً لا شريك لي فيك.. أعلنتُ الردة و تماديتُ في المعصية.. ركب رأسي شيطان أخرس فجّرتُ الكلمات المتمردة وجرتْ مني مجرى الدم فكتبتك نصاً ممنوعاً من العقل.. خارج نطاق المعقول والمنطق.. مقاساً وفق معايير جنوني.. امرأة تتنفسك ببطء كل ثانية.. تتغذى على حبك.. تنام وتصحو على حبك وتموت وتحيا كل لحظة كي ترتكب الخطيئة وتكتبك بحبرها السري وتتوسل بالدعاء إليك كي تقرأ خطيئتي وتلتهمها دون تبصر .

ولكن عبثاً .. تسير برؤوس أقدامك على إطراف كلماتي التائهة.. تحدج أحرفي بنظرات هادئة لا مبالية.. رزينة.. واثقة.. تحذر من جنوني وتسخر من خطيئتي.. تستغفر من المعاصي

التـي ترتكبهـا كلـماتي في حضرتـك... تصعـد عبـاراتي في اللحظـة الأخـيرة مـن المعركـة غازيـاً .. شـاقاً طريقـك .. مثـيراً عاصفـة مـن الأشـواق .. تغنـم حنينـي .. تقـود دمعـاتي خلفـك أسـلاب وكلـماتي سـبايا .. تدحرجهـا في شـماتة.. وتنـزل بطـلاً منتـصراً .

obeikan.com

(15)

كلـماتي تجـري مـن تحتهـا الأنهـار .. فوقهـا سـماء صافيـة شـامخة.. معانـدة لا مباليـة... وتحتهـا أرض وسـهول زهـر.. زنبـق وسـنابل.. ورياحـين.

تنقصهـا صـلاة عـدد ركعاتهـا مليـار لتدخـل جنتـك.. لكنهـا تغفـو عـلى القرطـاس وتحـت سـن القلـم عنـد نهايـة الأذان.. لتبقـى جنتـك موصـدة مثـل بـاب قلعـة حربيـة عتيقـة موصـدة في وجـه كلـماتي رغـم الاسـتغفار والتهجـد.. وكـثرة التسـبيح .

لا يهم...

لتبقـى جنتـك موصـدة.. فحاجتـي للدعـاء شـديدة لا تطـاق.. وأنـا أقـف بـين يديـك منكسـة مثـل رايـة موعـودة بالهزيمـة .

نظـرتي شـاردة ويـدي اليـسرى تمسـح وجـه الورقـة وشـاهدي المرتعـش يعبـث بالقلـم وجمـوع كلـماتي تنتظـر إذن الدخـول بعـد أن أرهقهـا الافـتراض وكـثرة الأسـئلة.

وجنتك موصدة .

(16)

أنكفئ على الورقة

كونٌ هائلٌ من الحب ومن الكلمات اسكبه أمامي .. وأنت الكلمة الأولى في كونيّ وفي كلماتي.

كان عليَّ أن أحول الكلمات الضائعة مني إلى شيء أخر حيَّ مضيء.. يهزك من الأعماق ويسحبك من غفلتك ويرمي بك في بحر كي تستيقظ من سُباتك يا رجل.. وتدرك كم أنت مسكون داخل الحرف وداخل الموسيقى وداخل كل نبضة تصدر عني وداخل كل خلجة من خلجاتي .

أما آن لهذا النزيف من البوح أن يتوقف.. أما تعبتِ يا امرأة؟

لقد تعبتُ كثيراً يا سيد اللحظات.. أنام وأصحو عند حافة الألم والفاجعة وفقدان كل شيء حتى الذات ... الحلم بدأ يتآكل داخل هذا الكون الحزين وداخل هذا الجحيم من الحنين والشوق وداخل هذا الكمّ الهائل من الكلمات المرتبكة وقلق الحروف .

الحلـم بـدأ يتـوارى داخـل غصـة غيبتـك المرشـوقة في القلـب وفي الحلـق.. غائـرة.. مسـتقيمة كاسـتقامة رمـح بائـس في معركـة خـاسرة .

أما تعبتِ يا امرأة ؟

أحنـي رأسي بانكسـار كبـير ... أنامـلي تتشـبث بالقلـم .. تنحـدر الدمـوع سـاخنة عـلى خـدي .... ثـم أواصـل الكتابـة .

obeikan.com

(17)

مباشر..

مـن شرفـات غـرف قلبـي .. ونقـلاً عـن سـاحاته ..أراك .. فأقـف لأصنـع وطنـاً مـن لغـة وآهـات وحنـين ... أتوضـأ نـوراً .. أغسـل قلبـي بآيـات الوجـد وبالدمـوع.. أصقـل شـفافيته.. أجلـو بياضـه بالعطـر أتنفـس بعمـق وأسـتعد قبـل أن أبـثُ إليـك شـعائر صـلاة حبـي ودعـائي الطويـل .

وسـأكون سـعيدة لـو تُقبـل صـلاتي وإمامتـي.. وسـأكون سـعيدة لـو سـعيت إليـك ولم ترهقنـي ذلـة ولم يعـز اللقـاء .

فجأة..

أنقطع التيار الكهربائي وأنقطع البث..

وغابـتْ أحـداث سـاحات القلـب ولم تنقـل الصـلاة فقـد كنـتُ مترجلـة عـلى وجهـي أمـشي و عـلى أبـواب جهنـم الهـج بدعـاء طويـل.

فجنتك قاسية

ظلها لم يكن ممدود

بساتينها لم تكن وارفة .

ماؤها لم يكن مسكوب.

قطوفها لم تكن دانية.

لا حور ولا قاصرات الطرف ولا هم يحزنون.

بل هباء وعبث وكابوس ولقاء عبر الأثير.

ولم أكــن أدري بأنــك أمامــي عبــارة عــن صــورة مــن موجــات تأتينــي عــبر .

أسلاك الكهرباء .

obeikan.com

(18)

مـر زمـن لم تتسـاقط فيـه كلـماتي.. ولم تفتـح أسرارها وأسـوارها أمـام أعـين جاحظـة بفعـل الدهشـة والاسـتنكار والأسـئلة التـي تسـتعصي عـلى الإجابـة. مـر زمـن لم تسـتيقظ فيـه كلـماتي إلا عـلى ظـمأ وشـوق وحنـين.. كلـماتي تسـكنها حـروف علـة حـيرت دهـاة الـكلام وسـحرة المنطـق ومشـعوذي المعقـول و اللامعقـول.. حدقـتُ تحـت مسـتوى كلـماتي ببلاهـة بادلتنـي الكلـمات .

حدقـتْ ثـم اسـتنكرتْ بهمهمـة خفيـة سـخرتْ مبتسـمة في خبـث ثـم انكفـأتْ مستسـلمة لعلتهـا.. مسـتلقية عـلى الـورق تحتضـن حبرهـا بحنـان . تابعتهـا بفضـول.. تفحصتهـا.. قرأتهـا باسـتخفاف.. أردتُ حسـم الأمـر بينـي وبينهـا بالحسـن.. لكننـي لمسـتُ في تمسـكها بحـروف علتهـا غرابـة الأطـوار.. انقلبـتْ كلـماتي عـليَّ.. حاربتهـا طويـلاً قبـل أن تصرعنـي فاستسـلمتُ لحـرفي علتهـا.. صرعنـي أنينهـما.. مرضـتُ بهـما مرضـاً لم يُعـرف لـه تريـاق.. فمشـيت إليـك يـا سـيدي حافيـة.. مجـردة مـن أبجديتي.. بائسـة.. حـاسرة.. منكسـة الـرأس.. ظامئـة للبـوح.. جائعـة.. خاويـة الوفاض مـن الكلـمات إلا منهـما .

(19)

مريضة أنا بكِ أيتها الأبجدية ومرضي خطيئة
أتأملكِ من بعيد ..أتهجى حرفكِ بحذر وخوف شديدين .. ثم
أنسحب ..أنسل من محيط كلماتك بهدوء ثم أرجمكِ لتموتين
بدموعي .. وتوصد أمام تأتأتي لكِ باب التوبة.

obeikan.com

(20)

صحف مرمية على حواف الأزقة.. وتحت أبواب البيوت.. الكلمات صقيلة الملامح والمضامين باهتة..

مذياع يصدح بأغنية شعبية..

امرأة تأتي من مكان قصي.. تشق الشارع الطويل.. تسبقها رائحة عطر قوية نفاذة . تشعرك بلذة غريبة.. تسري بعذوبة في كامل الجسد.. تشعر معها بخدر لا يقاوم.. ملامح دقيقة.. نعومة مدهشة ..أناقة مفرطة

تتوقف.. تلتقط أحدى الصحف.. تلتهم الكلمات الصقيلة بشراهة.. يبدأ المطر ينهم بشراسة بنعومة أفعى تنساب المرأة بسهولة وتلاشى داخل الكلمات تمتزج كالمضامين الباهتة وتتصدر الصفحة الأولى من الصحيفة تهب ريح قوية .. تقذف بالصحيفة بعيداً فتستقر في المزبلة.. يتأوه المذياع من جديد بأغنيته الشعبية.

(21)

وكان متأخراً أن أدرك أن قلبي صار عبئا لا يُحتمل.. وعليَ أن أتخلص من حباً لا يطاق.. عليّ أن أحزم حقائبي وأرحل لكنك تقتحم خلوتي ساعة الرحيل.. تقتحمني بكثافة فأرحل بإصرار وتنقلب خطواتي بعناد لتسير بالمقلوب إليك .

ها أنذي أحملك مسؤولية هذا القلب.. و أنت تحملني مسؤولية هذا الحب الذي يجتاحك.. ويؤرقك.. ورغم ذلك أشعر برغبة في فتح كل منافذي الداخلية أمام فتنة اللقاء بك وانكساري أمام استحالة القبض على لحظة معك.

وها أنا أعيش حبك داخل الكلمات.. أعيشه بكل جنونه وانكساراته.. ألتقي بك.. أتنفسك.. أعيشك.. أتخاصم معك في سطر.. وأجن بك داخل كلمة.. أخاصمك في عبارة.. وأقذفك بحرف وحركة وسكون .

نعيش أجمل اللحظات وأصدقها.. تلفحنا أشعة الشمس ونسهر معاً على ضوء القمر.. نختبئ خلف الكلمات ونتراشق

بالحـروف وننـام ونغفـو عـلى سـطح ورقـة.. أو بـين أزرار لوحـة مفاتيـح.. نتوهـج مثلـما تتوهـج شاشـات الكمبيوتـر.. بالشـوق.. بالحـب.. بالحنـين.. نتوهـج ونتوهـج داخـل الحـبر.. وخربشـاتنا.. نتنفـس بعمـق داخـل تطـرف مـزاج الكلـمات.. وجنـون الأبجدية.. وشـطحات العاطفـة.. وطقطقـات الأزرار.. أزرار الجـوال وأزرار الكمبيوتـر.. وأزرار تقاطعنـا مـع الكلـمات والانبهـار أمـام لغـة تسـتعصي عـلىَّ وأبجديـة تتمـرد أمـام حضـورك الشـهي لحظـة الكتابـة.

obeikan.com

(22)

تساكشني أسئلة شقية.. عصية مشاكسة يا سيدي تجر خلفها.

علامات الاستفهام الكبيرة وكطفل استعصت علية الأسئلة يوم الامتحان الرهيب .. أحملق بشدة أمامي.. أتلعثم.. ولا أجد إجابات.. على جسر هذه الأسئلة أحاول المرور إليك.. أحمل ثقل ينحني له.
ظلي.. أشواقي.. وحنيني.. وأشياء أخرى كثيرة غامضة.. أقف على حافة هاوية.. وأنت على مرمى البصر أمامي وأمامي كل إجراءات العالم لمنع المرور.

لاءات مصلوبة يا سيدي.. ووقت لا يسمح.. وشفرات لا سبيل لفك رموزها المكتوبة بلغة عرجاء بأحرف إلكترونية باهتة .. وأنا امرأة تحتلني ألف امرأة .. كل امرأة قادرة على تسريب الحب.

وتمرير الجنون ورشوة الوقت وكسر الشفرات.. ألف امرأة.. تترصدك.. تتسلل عبر منافذك.. وتمد ألاف الجسو.. وتزحف على أوردة القلب إليك.

(23)

لم يكن أذان جامع "سيدي رويفع الأنصاري" بصوته الحنون ونبرته الحزينة هو الذي أيقظني في ذلك الفجر الرائع.. ولا أصوات هدير السيارات التي تأتي مخترقة سكون وصمت المدينة النائمة.. ولا لفحات البرد القارصة.. التي تأتي من فجوة صغيرة في شق بجانب نافذة غرفتي لكنه جرح أخر جديد يضاف إلى ذاكرتي المثقلة أصلاً بالجراح.. انسحبتُ ببطء من فراشي اللذيذ ووقفتُ أتأمل الفراغ وأنصت إلى السكون الذي يملأ طرقات مدينتي الخالية.. كان صوته يتسلل إلى القلب كالدفء في أوصالي الباردة.. كالحنين الممتلئ بالفقدان والتيه والغياب .

الصلاة خير من النوم.. الصلاة خير من النوم.. ثم خطوات متسرعة مستعجلة تتجه صوب المسجد.. وروحي تتجه صوب الصوت المفعم بالحنين.. الممتلئ بالبكاء.

يتسلل صوته إلى الأعماق.. كالشعاع الضئيل الهارب من

نجـم تائـه في سـماء بعيـدة.. اسـتيقظتْ أشـياء دفينـة وقديمـة مـع عـودة الخطـوات المتسرعـة مـن صـلاة الفجـر.. جلسـتُ إلى طاولتـي.. أعبـث بمؤخـرة قلمـي الرصـاص.. أخـط كلـمات.. كانـت كلـماتي مجـرد ظـلال هاربـة مـن ذاكـرة مجروحـة وقلـب يائـس.. نعسـت قبـل أن أكمـل كلـماتي التـي تاهـتْ ورحلـت.. ثـم أصبحتْ في قـارة أخـرى بعيـدة.. يممـتُ وجهـي شـطر الشـمال ودعـوت لـه في سري.. ونمـت.

لكـن الخطـوات المتسرعـة الراكضـة ظلـت تمـزق سـكون مدينتـي وتمـزق سـكينتي وتخـترق دعـائي الطويـل الـذي أصوبـه مـع نسـائم الفجـر نحـو قـارة بعيـدة باتجـاه الشـمال.

(24)

وكطفل كنتُ أبحث عن مبرر صغير للإقنا..
كنتُ أجاهد كي لا يفطن أحد لهشاشتي وضعفي وأخطو إليه بثبات.. وكان لا يعنيه إلا نقاط ضعفي.. يستهويه بكائي ويستلذ لأسفي ويستطيب له اعتذاري.. كان سيد اللحظات شيئاً أخر غير حبيبي.. كان اليقين الذي أعيشه والحقيقة الوحيدة في حياتي.. كان شيئاً أخر أعمق من كل تصوراتهم.. كان المبرر الصغير للإقناع بجدوى الحياة في أبجدية مليئة بأنين وحب وحنين وأمل .. كنتُ أعيش داخل حروفي قصة حب لا تنتهي.. وأتنفس بعمق في رحاب كلماتي وأحيا بالمد بالجنون بالهمزة بالكسرة بالسكون.. لا تعني لي الحياة خارج مدارات الكلمة ولا أعنيها في شيء.. أبكي وأصرخ وأندب في مأتم كلمة.. أفرح وأرقص وأبتهج لعرس الحروف.. وأندب حظاً لا يأتيني فيه الألف طائعاً منحنياً مكسوراً وأُجن كي يتمدد أمامي ياء لغتي مسروقاً ومحزوناً ومبعثراً هذه هي الحروف من الألف إلى الياء ترتجف أمامي بأنينها.. وحنينها.. بعنفوانها.. وشموخها..

تقـف.. تنقـاد بأوامـري تنصـاع لي خائفـة مـن سـطوتي مرتجفـة خائـرة فزعـة مـن قسـوتي.. وهـا هـو الضـاد أمامـي مغشـياً عليـه.. وهـا أنـا ذي.. أبحـث عـن مـبرر صغـير لإقنـاع كاهنـة البربـر التـي تسـكنني بـأن تهبـط مـن جبـل "الأوراس" .. وأن لا جـدوى مـن الانعـزال في محـراب عبثيتـي وجنـوني .. كان يجـب أن أعـود إلى طبيعتـي بـشراً يسـمى امـرأة مـن جديـد .

obeikan.com

(25)

إلى أن أتوصل إلى لغة رموزها أرق من ندف الثلج.. ومفرداتها أجمل من أوراق الورد وأعطر من ذرات الهواء المضمخة بطيب أنفاس صادقة.. لغة تصل إلى مستوى ترجمة هذا الإحساس الرائع الذي حيرني عند اللقاء بك.. لغة ترتقي لتتويج لحظة بذاتها هي العمر كله سيظل الورق هو الوسيلة الوحيدة للتخاطب.. فعفواً أيها الصديق الذي حيره تعثري في الكلام.. ولم يفهم سر الإيماءة في التأتأة أمام حضوره الوحيد وتعطل لغتي البسيطة وانعقاد لساني إثر الهالة الرائعة التي تثيرها قامته الفارهة حولي.. ولم يدرك سحر الإشارة في امتلاء حديثي بعلامات الترقيم وكثرة الفواصل لحظة تدفق الكلمات المبعثرة وفتنة أن يعتلي الصمت عرش السيادة على لغة البشر العادية ساعة التلعثم بفعل حرارة اللقاء وشدة اللهفة.. إلى أن أجد وسيلة مناسبة للتخاطب سيظل هناك سيل هائل من الكلام المؤجل وسد منيع يقف حاجزاً مانعاً للتدفق وأكوام أكوام هائلة من الورق.

(26)

أكتبك عنواناً للدرس.. فتندهش طالباتي الصغيرات تتشجع إحداهن.. تجتهد.. تجاهد كي تفك طلاسم بلهاء أخطها فوق اللوح الأسود.. تتجاسر أخرى تهتف ببراءة . ما علاقة هذا..بذلك؟

ألتفت فجأة إلى الخلف.. فأقرأ من ملامحهن البريئة خبثاً طفولياً ينضح بالاستنكار و أسمع همهمة خافتة تفضح اغتباطهن بضبط هفوتي فأقول "علم الحا" تنفجر إحداهن بضحكة كانت تجاهد كي تكتمها عني.. أصوب نظراتي الضارية الشرسة إليها فتنكمش.. و أواصل تأطيرك على اللوح العتيق باستمتاع و دهشة.. و حب.. لا أدري لماذا تتشبث ملامحك الطيبة بسبورة القلب؟

لماذا أراها فوق دفتر تحضير الدروس.. و فوق جدران الفصل.. أضبطها متلبسة بفرح يغمرني . متلبسة بمهارة خارقة في مسح الحزن.. غشاوة قاتمة عن أمكنة غائرة في القلب عميقة لا تخطر ببال.. أكتبك بدل عنوان الدرس و بدل الدرس.. و في

ختـام الدقيقـة الخامسـة و الأربعـين مـن زمـن الحصـة.. أعلـن أنك كنـت هنـاك.. تجلـس في مؤخـرة الفصـل تعتمـر بطاقيـة إخفـاء تمـارس وظيفتـك في تقييـم جهـدي.. تندهـش الطالبـات للمـرة الخامسـة و الأربعـين.. يتنفـس الصعـداء عندمـا يـدق الجـرس معلنـاً انتهـاء الحصـة فأنسـل في هـدوء تاركـة رجـاءً حـاراً لزميـلي المـدرس الشـاب الـذي يلـج الفصـل بعـدي بـأن لا يمسـح السـبورة..

opeikan.com

(27)

قرفص قلبي تحت ظل كلمة طاغية يلتمس شيئاً من الجنون.. وأنَّ تحت وطئتها دهراً طويلاً وأرتبط قلبي مع هذه الكلمة بميثاق وكان عليه الانتظار مقرفصاً ..معذباً إلى نهاية العمر.

كنتُ أسعى وراء تلك الكلمة.. أهرول وراءها أنشدها

عشقاً في الكتب السماوية المنزلة.. وأجتهد في قراءتها منقوشة كوشم في صدور الرسل والأنبياء والأولين وألهث لتفسيرها خلف إعرابي بائد.. لم أجد تلك الكلمة إلا وخلفها سيل عارم من حمم الجحيم وهول من الصمت والتحفظ والرهبة والمعاناة.. ثم الشفقة لم أسرف..

كنتُ أسعي بالقنوت دائماً.. كي لا أقنط من الرحمة ولا من الحب و لا من المغفرة.. وكنت أخاف جداً يا سيدي وأسجد تحت ظل حرف بائس بصحبة إعرابي بائد يتلو ويئن على مسامعي إناء الليل وأطراف النهار .

"وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا" فيرمي

بي أنينـه بعيـداً لأتعلـق بأسـتار شريفـة وترتمـي روحـي هنـاك تنشـد المغفـرة.. نَفَـس يعلـو و يهبـط ونّفْـسٌ تحـررتْ مـن كل شيء حتى الجســـد.

وكان يبتسم مصفراً من شدة الهول.

وكنتُ أرتعش من شدة الرحمة.

obeikan.com

(28)

قضيتُ وقتاً طويلاً للوصول إليكم.. عشتُ خلاله عدة حيوات.. تغلبتُ على كل شيء لأصل إلى زمن احتواكم ..و لكي أستحق .أي شيء منكم أعتبره استحقاق.

همسة اعتذار.

أسف .. استفهام .. استنكار

أي شيء مهما كان مختلفاً فوق العادة.

الليلة.. ليست ككل الليالي.. فيما كانت تتهيأ لإعادة مفاتيح جنوني وتسليمها لساعات الفجر الأولى.. كنتً أتهيأ لكتابة شيئاً ما إليكم ولأنكم تستحقون الكثير والكثير و الكثير فقد سالت الكلمات واختلطتْ بالحبر والعطر والدموع وبما أن كلماتي استنكرتْ على الحبر كشف نواياها . وأبتْ قارورة العطر إلا أن تستميت بالاحتفاظ بالقطرة الأخيرة فقد أخبرتكم الابتسامة التي شقت طريقها وسط دموعي وأنا أحملق في أبجديتكم بأن رويدكم لن يدمي قلبي هذه الليلة لأن وقع الكلمتين مهما حملتا من قسوة ومن أشواك سيظل غالياً وعزيزاً وحنوناً.

obeikan.com

(29)

في كلماتي سلوك غير مسئول.. في تبخترها على أزرار الطابعة مسلك ومزاج متقلب ورعونة صارخة.. فبماذا تصرخ أعماق.. غريب أبجديتي الشرسة.. القاطعة كحد خنجر مسموم هذه المرة؟ ربما كانت ذاتي تقطر ألماً بأحاسيس لم أستطع إيصالها إليك بسهولة لم أقل شيء خلال الكلمات التي كانت تتقافز أمامي في رعونة لحظات صمتي

كانت هي اللحظات المتزنة الرائعة خلال لحظة اللقاء هذه لم أقل شيئاً وتركت مهمة البوح العظيمة للكلمات المجنونة فقط كنتُ أراقبها وأبتسم بحزن عمي وكنتَ وسيطاً روحي ثلاثتنا كان مشدوداً من الأعماق إلى الأخر.. وهبتْ بيني وبينها الكلم واقفة وهبتْ رائحة عطرك الزكية الممزوجة برائحة تبغك هبتْ ابتسامتي واقفة ..وهبت من الكلمات رائحة جنوني بيني وبينك وهبتْ غربتك بيني وبين ابتسامتي ثلاثتنا أدرك أن مسألة الحب التي تربطنا وتشدنا إلى الأعماق لا سبيل إلى مناقشتها .. لذلك صمتتْ الكلمات.. وانتهيتُ أنا إلى ابتسامتي الحزينة ورجعت أنت إلى غربتك.. وهدأتْ أزرار الطابعة تحت ضربات أناملي المجنونة وساد صمت يضج بالكثير .

(30)

أمسـك قلمـي أخـط .. وجعـاً أكتـوي بـه .. عـلى الورقـة تحولـت الورقـة إلى ذاتي .. سـقطتْ.. تهالكـتْ .. ذبلـتْ.

طـارتْ بفعـل نسـمة عابـرة ثـم انـزوتْ في ركـن قـصي.. تآكلـتْ أطـراف الورقـة.. وأنـا أقلـم أظافـري بأسـناني ..

ثمة شيء في داخلي ينهار..

انزويـتُ ذابلـة .. بُهـتَ وجـه الورقـة .. أصفـر بفعـل مـرور الزمـن..

تجهم وجهي .. أكفهر .. بفعل غيابك

أنا أكتم جرحاً

والورقة تكتم جرحاً

فكلانا يعيش في عزلة

أنا و القلم والورقة.

(31)

وكان متأخـراً أن أتعلـم أن لتهجـي حرفـك يـا سـيدي داء لا سـبيل إلى الشـفاء منـه ..كان متأخـراً أن أدرك.. أن عشـق كلماتـك بـلاء.. وهجرهـا جنـون يـؤدي إلى الهـلاك.. فـكان نـداء الكلـمات ومـا تسـطره وسـواس لازمنـي نهـاراً وقـض مضجعـي ليـلاً ..أجـس سـاق الألـف في الكلمـة وأتحسـس انحنـاءة الهمـزة وأجـوس مـن الحـرف إلى الحـرف هائمـة وصـولاً مـن الألـف إلى اليـاء.. وألعـن سراً وعلنـاً جهابـذة اللغـة.. صارخـة وأنـا أتشـمم العطـر في حـبر الكلـمات وأتـوه عـبر الحـروف أتلبـس مسـوح الأبجديـة وأتمتـم عـبر الظلـمات تبـاً أن هـذه الحـروف لا تشـبع شراهتـي للـكلام عنـك.. ولا تكفيني لأكتـب حنينـاً لا يطـاق إليـك.. فعـذراً يـا سـيدي الـذي هالـه مصير كلـماتي وهـزه وجعـاً نطقـتْ بـه وكان متأخـراً أن تعلـم يـا سـيدي سـبب طـوافي بكلماتـك باكيـة كـم لم أبـكي مـن قبـل .

(32)

انهمر حباً فوق أوراقي سيدي.. وأنزف حنيناً ويهطل الشوق فوق أزرار طابعة حاسوبي .. وفوق كل شيء في غرفتي الحزينة هذا المساء. حزينة حباً ومتوحدة اشتياقاً ..أخفي كلماتي السرية خوفاً منك أكممها كي لا يصل أنينها ونحيبها إليك ..تُرى ماذا يُشبع نهمك من كلمات الحب حتى ترضى سيدي .. وتتكرم بالسؤال؟ ماذا يرضيك من كلمات حرائق القلب فداء ليقين حبي المدفوع سلفاً كضريبة من أجل البقاء على قيد الحب أتسكع فوق أزرار طابعتي وبين حواف أوراق دفاتر خواطري المدسوس في عمق القلب والذاكرة .. أقتات بفتات ضئيل من لحظات حبنا المعدودة على أصابع اليد الواحدة. لم أنبس ببنت حب هذه الليلة..رغم الحرائق المشتعلة والانهمار الشديد والانهيار والهطول والسقوط لكلماتي المبعثرة داخل دقات القلب والمشتتة بين أروقة الروح والمتسكعة خلف دهاليز الذاكرة..آه لا أحمل سوى ذاكرة مثقوبة تعذبني تحتفظ ببعضٍ من حبك الممنوع وبعضاً من

لحظاتك المسروقة وبعضاً مني وحفنة صغيرة من أبجدية عشق تتساقط كأوراق خريف ذابلة أمام عيني رجل أعمى. لم أنبس ببنت حب هذه الليلة وأنا المتشردة المتسكعة عبر الكلمة الممتدة أمامي.. من الحب إلى الحب المترعة بالحنين والأنين والصاخبة بين منعطفات القلب من الشريان إلى الوريد وصولاً إلى أعمق صفيحة في الدم.. لم أنبس.

ولكنني كنتُ أرشح حباً محمومة بك.. وأنتفض وجداً وعشقاً ..وأركض شوقاً إليك.. أصارعك حمى لا طاقة لكل السحرة والمشعوذين والأطباء والعرافين بها.. وأعاني من اختلال فكل الحواس تشتعل هذه الليلة وكل الهواجس تقدح شرراً .. أصارع حبك وأعلن في صمت الشفاء منك سيظل ضرباً من الجنون مادمتُ يا سيدي أتنفسك على قيد الحب.

(33)

نفضتُ الغبار الكثيف عن تلك الكلمة هذه الليلة ...
واجهتني اللعينة بخنجر أصابني في مقتل.
فلماذا تحول الحب إلى متكئ للتسول تحت جدار ضريح ولي صالح؟
وتحول الحنين إليك في غربتك الطويلة إلى توسل وجحود ؟
لماذا تحولت تلك الكلمة إلى مساومة؟
أمسكتُ ممحاتي العتيقة .. مسحت الاسم الوحيد النابض في نص حياتي لم أكن أدرك بأنني غرست مسماراً مسموماً في نعش أحلامي.
ثم نمت جسداً مسجياً بلا روح ..وخيالك يزورني كل ليلة يقض مضجعي يطرق باب غرفتي مارداً هائلاً ..يطعنني بوحشية ثم ينسحب مرتدياً عباءة الكبرياء الكاذب فوق أسمال الحب البالية.

(34)

متأكدة من أن حياتي قضية معقدة .. لا يمكن البوح بها .. تمنيت سرد ما أشعر به لأقرب الناس إلى ..إليك .. ولكن عبثاً .. لم أفلح في ذلك وظل كل شيء سراً بيني وبينك يا الله على مدى زمن ما.

واصلتُ تقليب كلماتي التي ظلت معلقة بين حركة أصابعي وأزرار "الكيبورد"

لماذا أرغب في كتابة هذه القضية المعقدة إليك؟

وهل أنقض عهداً مقدساً برمته سراً لمجرد أنك قد بدأت تتكور هلوعاً جزوعاً منوعاً وتتكون من نطفة مخلقة من دماء قلبي.. وتنشأ من أوردة الروح مخلوقاً جديداً يسكن تلافيف ذاكرتي و يجادلني في قضيتي المعقدة وفي التزامي مع الله ؟

واصلتُ تقليب كلماتي .. لماذا أرغب في الكتابة إليك وقد خلقت من عجل تتعجل الوصول إلى حرائقي الداخلية ودقات قلبي وأسراري وأشواقي وقد خلقت في كبد وتشقى .. تجاهد في الوصول إلى على قشة فوق رمال متحركة؟!!

فنجـان قهـوتي الموضـوع بعنايـة فائقـة عـلى طاولتـي ظـل صامتـاً بـارداً سـاكناً يرمـق حركـة يـدي وينصـت لـصوت أزرار الحاسـوب وهـي تـئن تحـت ضغـط أنامـلي المتصلبـة.

بـدأتْ ملامحـي كصـورة متكـسرة ومنكـسرة وأنـا أنظـر إليهـا مـن وراء زجـاج غرفتـي والأمطـار تصفـع طرقـات مدينتـي وتجلـد عابـري السـبيل دون رحمـة.. فجـأة نظـرتُ بيـأس إلى ملامحـك التـي تتصـدر واجهـة شاشـة جهـازي وتبتسـم في خلفيتـه ابتسـامتك الماكـرة المنتـصرة ضغطـت دون تفكـير أو تبـصر أحـرف إلكترونيـة عرجـاء " delete " ابتسـمتُ وأنـا أقـوم بإلغـاء كل شيء وظلـتْ قضيـة حبـي لـك مـن طـرف واحـد ..قضيـة معقـدة وسراً برمتـه عهـداً بينـي وبـين اللـه.

(35)

عنكبوت الحب تنسج خيوط السكينة في قلبي ..ثم تتجرأ تخترق النسيج العصبي وتلتف على السحايا وتبني هناك أوهن البيوت وأعتاها وحمامة الوله تحتضن الشغاف برفق وتنام على بيضها في الشرايين .. تلف الأوردة وتطوق المكان ..تترقب الأفق البعيد في قلبها تحمل رسالة بلا عنوان تنتظر موعد غير معلوم. وطيور أبابيل ..ترميهم لتنتصر لنا والسكينة تحارب معنا.. الثبات يرمي سهامه في مقتل .. والطمأنينة تنحر ألوية الخوف والسحابة العظيمة تصعد من البحر القريب إلى السماء... تتكاثف هناك .. وهناك تدثرنا بقماطها وتسترنا بلباسها .. تخشانا السحابة ..وتظلم لحظة اللقاء.

ذعر ينسحب ..حيرة ترتسم ..واشتياق لم أعهده في أعين بشر من قبل أراه يرتسم وأسئلة خفية .. قلق وحنين يمزق شغاف القلوب همسات صادقة .. حانية .. حنونة أعين تدمع وقرآن يتلى إناء الليل وإطراف النهار كانت تلاوته محملة بالنداء الخفي الذي لا طاقة لي على تحمله...

ويمتد صوت التلاوة يخترق سكون الليل .. يسري ويتغلغل لا.. لم تكن نصيراً لي يوماً على جيوش الحنين التي مزقتني وعبثت بما تبقى من قوة احتمال ..لحظة اللقاء..

فلماذا ..لماذا ..الحزن يا رجل رغم وصاية السماء ؟ ويمتد الصوت صوت التلاوة وصوت الحنين والحفيف .. حفيف الورق وحفيف الثياب وحفيف جناحي الحمامة وتعلو ثلاث كلمات إِنَّ اللّهَ مَعَنَا.

عالم الأشرار المخيف ينهار في الخارج .. وأخر مخملي ينهض من تحت أنقاض الانهيار في الداخل ..ورائحة مسك تملأ المكان..

فكيف لا أغرق في عشقك حتى الثمالة .. يا رجل ؟!! لماذا لا أعشقك والله معنا يمدنا بالجنود؟!!

(36)

نـداءات لم أعـد قـادرة عـلى تحملهـا.. تمتلـئ عينـاي بالحـيرة وبالخـوف وبالترقـب وبالدمـوع.. والأسـئلة .. ثلاث نـداءات خفي.. توبة ورحمة ومغفرة.

إثرهـا تسـكن الحـواس ..تهـدأ .. تستسـلم اسـتجابة لهـول النـداء واليـد تضغـط بتكاسـلٍ غريـب عـلى الحـروف..

لأكتب حبك أمام التوبة

وأسطر حنيني إليك خلف الرحمة

وأخط رموز عشقك خلال المغفرة

فكانت الحاقة ..لم يكن انتصارا ولا يحزنون.

العـين تقـرأ في الكلـمات ذعـراً ..لم تكـن هنـاك رائحـة للحـبر في الكلـمات ولم تكـن هنـاك شـذا للعطـر في الحـروف.

كان هنـاك ألمـاً .. وفجيعـة وبـكاء .. انسـحبتْ كلـماتي وهـي تتـأوه بشـدة رغـم الرفـق الشـديد بالحـروف .. انسـحبت كلـماتي وهـي تشـتمني وتلعننـي وتنظـر إليَّ بفـزع وغضـب شـديدين .. فلقـد كتبتهـا ..وأنـا أكتـم نـداءاَ خفيـاً صاعقـاً

كتبتها بعنف وأنا أصارع حنيناً قاتلاً للتوبة منك .. كتبتها وأنا أتذوق ترياقاً مراً علقماً سماً زعافاً للشفاء منك..

كتبتها فكانت كلمات قارعة.. وكانت صاخبة ..طاغية.

فيا ليتها كانت القاضية.

obeikan.com

(37)

وسواس مفجع مؤلم حل بالروح العليلة.. لكنه وسواس لذيذ تسلل إلى القلب ساعة غفلة .. أستيقظ الألم ذات فجر ... أنتفض المريض .. شعر بلذة غريبة تغمره وقام لينفض الكابوس بعيداً ويعود إلى دنيا الإحساس يعود إلى براح اليقظة .. قام ليصلي..

اختلطتْ عليه أحاسيس كثيرة... اهتز.. ترنح.. تأوه ..تاه بعيداً قبل أن يدرك أنه اخطأ في عدد الركعات .. عاد من جديد وسجد سهواً.. خر ساجداً.. تعمد أن تطول سجدته... أتناء السجود.. ناداه المنادي نداءًا خفياً وأثناء ذلك تأمل طويلاً.. تأمل مصدر النداء.. تأمله بحاسته القوية.. تأمله بوسواسه المفجع تأمله بقدره الرهيب تأمله بالحب .. تأمل وجه الله طويلاً.. ثم توجع.. طالتْ سجدة السهو .. أثناء السجود رحل رحلة طويلة ... فرتْ أمامه مساقة بعيدة ..غادر الزمان والمكان سار وتوغل تعمق في رحلته لكنه لم يرجع منها أبدا. في الخارج أنهال التراب على الميت وغمر الصراخ الجسد المسجى وفي السماء ابتسمت شمس تتوارى خجلاً خلف سحابة قاتمة.. حبلى وواعدة بيوم شتائي ممطر وليل طويل.

(38)

أقـف عنـد هـذا الحـد مـن الجنـون.. وعنـد هـذا الحـد أقـف وحيـدة.. أبعـثر في سـماء غرفتـي أي شيء.. أنفـاسي.. زفـراتي.. آهـاتي ..كلـماتي .. كتبـي .. أقلامـي .. أرمـي بهـا بعيـداً فتتبعـثر هنـا .. وهنـاك أتمنـى أن تنشـق السـماء .. أو تبتلعنـي الأرض .... لكـن لا السـماء تنشـق ولا الأرض تبتلعنـي .. أنـا فقـط مـن يقـف بجنـون عنـد هـذه الحافـة .. أقلـب الشـوق .. أبعـثر الحنـين وأمـزق وجـه الحـب بسـن قلمـي وأنـشر عـلى الـورق أشـلاءه وبعضـاً مـن ذاتي.. أبعـثر أدوات الزينـة.. عطـوري.. أشرع في تحريـر خصـلات شـعري الأسـود المسترسـل ..أتركـه ينسـاب في دعـة وهـدوء.. أتأمـل نفـسي في المـرأة الطويلـة المعلقـة عـلى خزانـة ملابـسي ثـم ثـم أقهقـه عاليـاً حتـى يمتلـئ الجنـون بجنـوني .. يثمـل بضحـكي وينتـشي بحنينـي عندهـا .

أهـدأ .. ألتفـت يمينـاً ثم يسـاراً أطلق زفرة طويلة وأبتسـم في مرارة هـا نـذا وحيـدة ..أقـف .. في الثلـث الأخـير مـن الليـل الـذي يخـر لي سـاجداً ..أنـا والليـل يقـف أمامـي سـافراً ويهمـس بـإسراره ..

تذهلني موسيقى أنفاس الكون .. واهتز طرباً لوقع خطوات النجوم وهي تسير برتابة أزلية وفق نظام يناقض طبيعتي المتمردة وأفك رموز " سوناتا " تنفس الكائنات الخفية ساعة الفجر التي تربكني وأصرخ متحررة من كل شيء ..اللحظات أمامي مفتوحة بلا قيود بلا مواعيد أو روابط أو ضوابط.. الزمن ينساب أمامي دون حساب فأنا ممتلئة بما في قلبي.
ممتلئة بحبيب باغي .. ظالم .. عادل ... قاسي ... رحيم .. غفور أناديه فلا يجيب .... أرفع صلواتي ... ودعائي الطويل .. أرفع حبي إليه دون تعقل .. وأتلو حنيني له دون تبصر .. فلا حجاب بيني وبينه وأدرك بجميع حواسي وقلبي أنه يسمع جريان الدم في عروقي ساعة صلاة صامتة.

(39)

علَّم القلم بتواريخ قادمة وكتب .. خطا خطوتين .. ترجل .. أبتسم ..في وجه الرجل البائس ثم سطر على الورق المصقول بأناقة امرأة.. ورشاقة أنامل ناعمة وبحبر مغموس بالوجد وبالعطر تراتيله.

لا تصبح مثل بقية البشر... فأنت لا ترويك إلا كلماتي أسكبها بلا.. تبصر في لحظة ضلالة أمام عقدة حاجبيك.. ولتسقط كلماتي على.. واجهة فضولك المتحفز وليرتد بصرك خائباً..خاسئاً لا تخف عواقب.. نفسك العطشى للارتواء.. مهما كانت كلماتي حُبلى وواعدة.. فأنها لا ترويك ولن ترويك .. لا ترياق لداء البوح.. أقوم بتحويل كل ما يقع في يدي إلى شعر يغازلك.. يغازل عمقك الذي يرتمي مغشي عليه عند أقدام سن قلمي إذ تقرأ أيها الرجل ولا ترتوي.

يتجاسر الرجل ليرمق القلم الأنثوي في جسارة لا تليق برجل. يسيل الزمن فضياً من بين عقارب الساعة الحائطية ..وينسكب ملطخاً عدة ثواني مهمتها إعلان نبأ الحب العظيم .. ولم تفعل ولن تعلن ..ويسيل الحبر على الورق ويسيل الوجد مع البوح وتعلو جيوش الكآبة قامة اللحظة .. يتغضن جبين الرجل إذ

يقــرأ براكــين وعواصــف عــلى الــورق ويقتفــي أثــر القلــم الــذي يعبــث.. يتــأوه الرجــل إذ يقــرأ ..عربــدة صاخبــة عــلى الــورق ويقتفــي أثــر الأنامــل الناعمــة .. أخــيراً تتعرى كلمة طائشــة أمامه ..تفلت كأنثى لعوب .. يتجاسر ...يعتدي بشراســة عــلى خصوصيــة القلــم يمد عنقه ليقــرأ ولا يرتــوي إذا يقرأ.

obeikan.com

(40)

في ركن هادئ من باحة بيتها الكبير نسهر معاً .. نجلس وجهاً لوجه .. أبدو سعيداً .. متفائلاً .. أروي بعض الأخبار الطريفة فنضحك ويضحك العالم من حولنا .. ورغم هذا البكاء النازف من السماء إلا أنني ممتلئاً حتى التخمة بالحب. أرمق وجهها الجميل .. أصطلي بنار مدفأتها وأحترق بنور الألق الذي تصوبه في جسارة طفل ذكي متخابث من عينيها الرائعتين عندما تباغتني بسؤالها العابث فتنفخ بشدة في أتون حاولتُ جاهداً ردم جمراته ببعض رماد التجاهل تغمغم من جديد .. لماذا لا تبحث عن عمل ؟ فأطرق في خجل ولا أدري بماذا أجيب .. لستُ صديقاً للأعمال الروتينية المملة ذات الطابع الوظيفي التقليدي .. كنتُ ولا لزلتُ أمقت هذا اللون من الأعمال وأنفر منه .. خطر لي هذا الخاطر وأنا أصفع باب سيارتي مترجلاً منها متجها صوب المبنى الرصاصي القاتم لشركة كبرى متأبطاً أوراقي الخاصة حيث أبحث عن عمل.

توقفتُ فجأة عند منتصف الطريق المؤدي إلى السياج الأخضر الذي يحيط بالمبنى - قلتُ في ذات نفسي - ماذا لو أطعمت حفنة أوراقي الباليات للريح ثم أقفل راجعاً لا ألوي على شيء هنا تبرز أمامي مجموعة من أشجار الورد التي تصطف على جانبي الطريق المؤدي إلى باب البناية الضخمة وأتذكر خطيبتي .. يبرز لي وجهها الطفولي البريء منبثقاً يتوهج بين براعم خضراء وأزهار.. يتناهى إلى مسمعي صدى رجاءها الحار الذي تبعثه في صورة سؤال حائر رقيق وهي تتوسل .. لماذا لا تبحث عن عمل ؟ ترسله كنبال ترشق بها صدري دون رحمة أغمض عينّي .. تصدر من بين شفتي آهة أحس بشيء من الارتياح.. أتنفس بعمق وأنا أقف أمام الحارسان الواقفان عند باب مبنى الشركة أبرز أوراقي يتناولا بطاقتي الشخصية يتفحصاها بدقة ينظر إليّ كبيرهم طويلاً.. يرشقني بنظرات طويلة جامدة باردة كنظرات الموتى يستفز بها رباطة جأشي قبل أن يتمتم بكلمات مبهمة.. تخرج مهتزة من حلقه .. تتداخل مخارج حروفها كأنها تخرج من غور بئر سحيقة يرسلها إلى جهاز صغير يحمله في يده.. لم أفهم شيئاً مما يقول فقط أقف جامداً منتظراً

متربصاً في تحفز إلى أن يئز جهازه أزيزا متواصلاً ثم يرسل موسيقى عذبة متناغمة عندها يأمرني بالدخول فأتمتم شاكراً أجتاز رواقاً طويلاً.. أتقدم .. يبهرني هذا العدد الهائل من أجهزة الكمبيوتر المتطورة التي تنتشر في كل مكان داخل الشركة .. يدهشني هذا العدد الغفير من موظفي الشركة ذوو النظرات الجامدة الذين يجوبون المكان .. ويفزعني هذا الصمت القاتل .. لا يوجد صوت بشري واحد يهزم هذا الأزيز الذي يتصاعد بصورة قاتلة من الأجهزة العجيبة. هذا الأزيز الذي قد بات يؤرقني ويفتك بأعصابي ويسبب لي صداعاً عنيفاً لا يطاق وأخطو مهرولاً أحاول هتك حرمة هذا الصمت البشري المهيب.. فأصرخ هاتفاً ساخراً مستفزاً لاعناً عشاق الشاشات الرمادية وأزيز الطابعات وأسلاك الكهرباء.. أقذف بكلمات متناثرة ثائرة غاضبة.. لكن أحداً لا يلتفت صوبي كي يشعرني بحرارة الحياة ما أغباني وأنا أحاول الانسجام مع هذا الجو الخانق.. تتألق ألوان ملابسي الزاهية وتتنافر وهذا اللون الرمادي القاتل للملابس والأجهزة والأسلاك وحتى طلاء الجدران والمقاعد..كل شيء هنا قاتم باهت بلون الرصاص.

يرعبني هذا الانغماس القاتل في العمل المتمثل في تسمر رواد المكان أمام شاشات الأجهزة.. أخطو.. أفتعل الضجيج ..صوت خطواتي الثقيلة على البلاط اللامع يخترق جدار الصمت السميك للدهليز الذي يفضي إلى حجرة صغيرة كتب عليها بلون باهت وبأحرف إلكترونية عرجاء" مدير الشركة" يستقبلني هاشاً باسماً.. تتألق نظرته.. ويبتسم لسذاجتي في مودة مصطنعة.. أحتار لاستقباله العاصف بي .. وأفكر بعمق في بريق عينيه الغريب الخاطف. يمط شفتيه بعد أن يناولني أوراق اعتمادي كموظف جديد في الشركة يشير إليّ بطريقة آلية غريبة مبتسماً في خبث وشيئاً فشيئاً أتسمر أمام شاشة كبيرة تلتهم بصري ببطء أنظر حولي . أتفحص أثاث مكتبي .. أهتف كل شيء بلونالرصاص يرتج صوتي وتعلو درجة اكتوائي بالفجيعة ماذا أصابني وأنا أذرع أروقة الشركة يصطحبني صوت خطواتي الذي أحاول أن أجعله عاليا يعلو على أزيز الأجهزة الالكترونية الذي يملأ المكان .. وبراءة طفل أقف كي أحملق في ظلي المنكسر على الحائط يلاحقني ظلي فأبتسم له أحاول الهروب أبحث عن باب دخلت منه يوماً فيشدني سؤالها

المعلـق بـين الرجـاء واليـأس .. لمـاذا لا تبحـث عـن عمـل ؟ وتعلـو درجـة اكتـوائي بالهزيمـة وأعـود إلى شاشـتي أحاول فـك رموز طلاسـم الحـروف والأرقـام والحقائـق الجامدة وشـيئاً فشـيئاً أخرج مـن ذاكـرة الزمـن المضبـوط بالثـواني نافضـاً جـراب المـاضي لأجعلـه خاويـاً ملوحـاً بالمسـتقبل في غياهـب ذاكـرة تقـاس بالميغابايـت.. أقـوم بتغذيـة جهـازي بالمعلومـات .. ألتفـت إلى الجـدار فأجـدني بـلا ظـل ... أخطـو فيختفـي صـوت أقدامـي الثقيلـة .. أتحـدث فيخـرج صـوتي مصحوبـاً بصـدى يـتردد خافتـاً ..وأنقلـب إلى كائـن آلي جميل الهيئة تتنتفخ أوداجه وتمتلئ جيوبه بالدنانير.

(41)

أنت المبتدأ ... وخبر الكلام ومنتهاه لا زلتُ .. أفتقد .. مخارج الكلم مفاتيح الاعراب

كلماتي مكسورة يا سيد اللحظات لا زلتُ أبحث عن لغة أخرى وأحرفي في حالة جر ..وهمزاتي تتقافز حول السطر ..فوق السطر

لا زالتْ علامات الاستفهام تترنح أمام الأسئلة التي تستعصى على الفهم ..وتبحث عن إجاباتها ولكن عبثاً.

obeikan.com

(42)

لك أهدي كل هذا البذخ من الكلمات والحزن

و أهذي بكل هذا الحب إليك

ممزقة أنا بينهما .. وبين لحظات جنون عابرة تتلبسني خلال السطر ..وأستغرب لماذا لا تفقه سر كلماتي إليك .. لماذا لا تدرك سر السطر الذي أخطه في لحظة متلبسة بالجنون والحزن وشيء من الحنين والحب ..وانأ اذوي خلالها وعشقك يستحلب كل قوتي وأنا أقتات بعشقك ..لكي انهمر سيلاً من الحبر على الورق ..ولكنني أنهض في كل مرة امرأة جديدة تعيش في كل العصور.. تنقش حبها وحزنها وكلماتها إليك ..ابتداء من النقش على الحجر وحتى النقش الإلكتروني صفحات من الهول كل صفحة انكسار مميت لي ونصر مظفر لك .

كل سطر حزن عميق لي .. وجرح غائر بخاطر اللحظات الجميلة التي ترحل ولن تعود .

وعندما تتلبسني لحظة حنين واشتياق إليك أكتبها سطراً سطراً كل سطر أتوسل به وأستجديه أتوسل إلى فواصله ونقاطه

وانكســارات وتعرجــات حروفــه ورمــوزه وهمزاتــه.

بأن يرحل عني السطر .. أرجوك أرحل يا سطر.

استجدي الكلمات وأتوسل كي لا تحاصرني.

استجديها كي تذهب ..و ..تتركني وشأني.

ففي قلبي .. وجع وهول وذكريات.

وفي خاطـري نهـر تنبـت عـلى ضفافه سـنابل من حزن وحـب وحنين فهـذا الحـزن وهـذا الحـب وهـذا الحنـين والوجـع أكـبر مـن أن تكتبـه الكلـمات.

obeikan.com

(43)

أصابني مرض مزمن بالكلمات وبك سيد اللحظات.. أرحل بعيداً حيث مسقط رأس الحروف.

في مخيلتي الكثير..أبعثرها.. لا أرتبها فالترتيب يقتل سحرها.. أحبها مبعثرة كأشواقي.. أحبها مرتبكة كحنيني أكتب الكلمات ثم أقرؤها رأساً على عقب.. أبعثرها.

ثم أعيد ترتيبها من جديد.. لكنها لم تستقيم إلا عندما تحدث انفجاراً على الورق.. أسكب الحبر واسكب ذاتي فوق الحبر.. أشعل ناراً تحرق كل الأوراق .. تتلبسني الدهشة . فاتحة عيناي وفمي وقلبي على الكلمات العاشقة التي تتقافز بفعل حرارة الأشواق التي تنساب من ذاتي.. وتصرخ مستغيثة من النار المشتعلة من الذات..قيدتُ نفسي بها وشددتُ وثاقاً.

أستدرجها ... أستدرج كلماتي إليك.

كان عليَّ أن أحيلها إلى حالة من الاستثناء والسحر والغموض والجمال قبل أن أهديها إليك في كل عيد.

(44)

أخبئ أشواقي بين مخارج الحروف عندما أنطق اسمك متلعثمة وأنتهي برصف حنيني بين الفواصل.. لم أكن أدري بأن اسمك لغز يستعصى على النطق.. لا أدري يا سيدي كيف تعلمتُ أن أتهجى اسمك دون أخطاء.. لا أدري بأي نغمة حنونة كنتُ أردده.. ليخرج سليماً معافى دون ارتباك ودون اهتزاز ودون تعثر بدقات قلبي يتعلق اسمك بنبض القلب.. ويخرج معلولاً بمرض لا علاج له.. يخرج مرتعشاً.. محموماً.. خجولاً عند النداء.

يخرج من مكان بعيد.. عميق.. معزول..ممسوس لا أحد يعلم بسر هذه الحروف النارية القليلة القاتلة.. وحدي كنتُ أعلم مدى إصابتي بهذا الاسم.

أشعر بأنه أمامي حروف حية مصلوبة على هيئة وشم ومغروسة في عمق القلب.. مائم سحرية تلهج بالحب والمستحيل والاستثناء فمن ذا الذي يملك المفاتيح الخفية للأبجدية التي تستعصي وتتمرد وتخبئ عمقها السحري عني.. عند لحظة التيه به فتصبح عملية النطق تلعثم وتأتأة .

(45)

لقد بدأتْ طقوس التلاوة ... تلاوة الوجد .. الحب ... التيه تلاوة صحائف الأعمال العاشقة ..تتلقفها الروح باليمين ..يلمع في العين وميض الفوز وإيماء البشارة يمتزج الوميض بسحر غامض وغموض ساحر وفتنة قاتلة ... القاتل والمقتول بين جنة ونار ..هو الحب.. الجنون.

لقد بدأ التجلي بارتجاف القلم .. وهسهسة الورقة بين سؤال وجواب... خطأ وصواب ...حق وباطل ... بين روضة وحفرة وأنين يبدأ خافتاً ثم شيئاً فشيئاً يعلو ... يبحث عن متسع لا حد له للبوح .. للكلام ..للعشق .. للعبادة ..متسع لا تحده أين و كيف ولا متى .. ولا حتى هل ؟ متسع بلا تساؤلات ولا علامات استفهام أو تعجب أو استنكار.

براح للعفو للتسامح ..للشفاعة .. لا يحده ألم أو قسوة ولا عقاب .. لا جوع لا عطش لا مرض . نعومة مطلقة في حضرتك.. صفاء.. تستقبلك الروح.. تصافحك في فضاء شاسع الامتداد حيث لا قيو د. لا حدود للزمن .. وليس هناك مقياس لآي

شيء حيثُ التلاشي ..التماهي الاندثار المطلق .. في خفاء بعيد مبعد في البرزخ تتعانق الأرواح في لقاء حار ولهفة وشوق... وفي القرية البعيدة شمعة تتقد ... بكاء وعويل و جسد مسجي وقد فارقته روح هائمة تتحفز للتلاوة.

obeikan.com

(46)

زاوية هادئة للحب .. متكأ ومنبر .. شمعة فرح تتقد لحنينك.. لغربتك .. وقرأن يُتلى ... ودعاء طويل طويل ساعة فجر.. ثم كلمات تتهاوى وأحرف تتساق .. همزات تتأوه .. وعلامات تستغيث.. وورق يئن تحت وطأة سن قلم مستميت في الكتابة إليك.

والشيخ أسير الزاوية غارقاً في ظلمة ما ..بدعة ما ..ضلالة ما.. يحتاج إلى زمن أخر كي يستيقظ من غفلته.. وينسحب نحو خلوة ما، لكنه يصر على تلاوة آيات غربته القاتلة ميمماً وجهه مستقبلاً قبلته شطر الشمال حاسباً كل حساب ليوم قيامته..

وأنا مازلتُ مصرة على تلاوة حبي على مسامعك.. مازلتُ عنيدة في فك رموز لحظة صمتك يا شيخي وتهجي عزلتك في زاويتك البعيدة ، مازلت مصرة على قراءة ملامحك سراً والتعثر بصوتك المليء بالخشوع وسأصل قبلتك لأصلي جهراً و ألعن ظلامك وضلالتك على الملأ

openkan.com

بـكل وضـوح .. وألعـن وحدتـك .. وأعلـن حبـي .. أعلـن توحـشي وبربريتـي وهمجيتـي بـك أهـزك بعنـف كي تسـتيقظ .. أفتـح قلبـك كي يدخـل النـور دفعـة واحـدة .. ثـم أُلملـم ذاتي أوهامـي وأحلامـي و أدفنهـا فيـك .. في عمقـك .. أحفـر قـبري بداخـل قلبـك أغلقـه عـلى مـوتي بحبـك و أسـتريح .

opeikan.com

(47)

لا أراك إلا منعزلاً..مبتعداً.. حذراً ...لا أراك ... وأنا المجنونة بك لم أفلح في شيء إلا في هدر الحبر والكتابة إليك... والتمتع بسكب حبي على الورق ساعة استرجاع وجهك وكلماتك .لا أريدك منعزلاً.. أريد كلماتك .. أشعارك.. أحاسيسك.

أريدك بالكامل.. دفعة واحدة.. لا بالتقسيط المريح.. صارتْ تحيتك العابرة متنفساً ..أنا أخدع نفسي ..أوف .. حبيبي لن أطمئن عليك بسلام أتصدق .. ؟

يغار حبي المتهور من رزانتك ..من خطواتك الواثقة فوق كلماتي المبعثرة .. نظراتك الثاقبة خلف أحرفي المتهورة .. قصاصك العادل الذي تدين به عباراتي .. تمسح حبري الممزوج بدمعي .. تلغي حنيني .. وتشطب كلمات الحب إليك وتخفي الثقوب الواهية لتحيتك العابرة بآيات قرآنية ثم تستغفر الله من كلماتي .. ترجم حنيني بالحوقلة تسبح لله قبل أن تقول أن الحمد لله رب العالمين أنا بخير.

ويعلو صوت الحق ..منادياً للحب .. للرحمة .. للصلاح

للاستطاعة.. للتوحيد .. يعلو برفق.. بمحبة بود يأتي خافتاً .. حنوناً .. في شكل أنين .. حنين .. يعلو.. ثم .. ينخفض .. يعلو ثم يدخل متسللاً إلى الروح ..ويعلو صوتك بالنفي .. بالحذف.. بالتجاهل ... وأنا أستجمع كل قواي لأصلي الفجر حاضراً ..أرفع دعائي عالياً لأجلك .. قبل أن أعود لأكتب إليك من جديد

obeikan.com

(48)

أعـبر أبجديـاتي إليـك.. أشـق بحـراً شاسـعاً مـن سـحر وغمـوض وبهـاء.. لا أملـك عصـا مـوسى كي أشـق البحـر إليـك.. ولا صـبر أيـوب.. ونسـيت يـا سـيدي أني خلقـت مـن صلصـال وخلقـت كلـماتي مـن مـارج مـن نـار.. تـرى كـم تحتـاج كلـماتي مـن الحنـين كي تتفـرد عـن بقيـة الأبجديـات.

كـم يلزمهـا مـن الجنـون كي ترحـل هـذه الكلـمات إلى العمـق فيـك .. وتتوجنـي امـرأة تتفـرد عـن بقيـة نسـاء الدنيـا والآخـرة .. كـم يلـزم كلـماتي مـن الألم .. كـم يلزمهـا مـن المسـافات.. كـم مـن الأشـواق.. كـم مـن الانكسـار.. مـن الانسـحاب.. كـم يلزمنـي مـن لحظـات لإطفـاء شـموع العمر..ومـن الاشـتعال كـم يلزمنـي مـن التوهـج ..ومـن الانطفـاء و كـم مـن رايـة فـرح تلـزم لرشـقها منتكسـة فـوق ظـلال اللحظـات يـا سـيد اللحظـات؟!!!

(49)

أكتبك من عذاباتي.. من أبجدية كلماتي.. أسويك رجلاً عاشقاً وأنفخ في روحك بعضاً من لهفتي..حنيني وأشواقي.. أعجنك من جنوني . وأضع عليك قليلاً من أحرف الطيش وبعضاً من علامات النزق.. أصنعك من لغة تقترب كثيراً من صفاء دمعة.. وتبتعد قليلاً عن شفافية البلور من سحر كلمات ضائعة تتساقط من سن قلم عاشق ... أكتبك جمل للحنين.. للتيه .. للوجد .. للتصوف للعبادة.

أنت هناك بعيداً تتوغل في غربة دائمة عني ..وأنا هنا أجلس قريبة منك .. أنحتك في عمق كلماتي وأتفنن في استرجاع ملامحك الغالية ورسمها على أوراق دفاتري بمتعة لا مثيل لها. كان عليَّ أن أتخيلك ... تقف عند حافة الورقة .. وتستريح قليلاً عند سن القلم ..تلتقط الأنفاس وتطلب مني أن نتجول داخل أزقة المدينة ... داخل الأتربة والمطر .. آه ما أروع رائحة ترابك أيتها المدينة البيضاء .. ما أجمل نوافذك المفتوحة في وجه الريح والمطر ورائحة المسك والياسمين.

كان عليَّ أن أسمع صوتك داخل نغمة هاربة من نافذة نصف مفتوحة .. أن أسمع صدي دقات قلبك مع آذان الفجر لمسجد "بلال " يأتي متسللا .. يسري .. يختلس حنيني ثم يهرب مع صفير الدرويش تحت نافذة غرفتي .. أن أسمع صدى وقع خطواتك مع صدى نقرات المطر في الشوارع وأن أنتشي بلذة حضورك .. أقبض عليك ساعة إشارة مرور خضراء ونعبر معاً أطول شارع في المدينة المستميتة في احتضان الجبل .. الهاربة في أعماقه .. الموغلة في غياهب التاريخ بلا رأفة ولا رحمة .

كان عليَّ أن أستحضرك سيدي بملامح شهيد سقط عند مفترق ساعة ثورة.. بقسمات شيخ ..سقط بمقصلة جلاد غادر لا يرحم .. بهيئة رجل مناضل من أبناء مدينتي لا يخاف في الله لومة لائم.

(50)

ألتقي بك ذات حلم ..أوف يا سيدي أشعر أن الواقع لا أمان له.. صديق يتخلى عنك ساعة شدة.

ها أنذي أتمدد داخل الحلم ..داخله لم أغفِ لحظة واحدة .. ولم تطرف لي عين ..ولا أرتد البصر ..أكتم أنفاسي مشدودة إليك .. أملأ عيني وروحي بك .. وإليك ...أدق أبوابه بعنف وقوة واشتهى أن تبقى معي بكامل وعيك .. بكامل حنينك وجنونك.. أكاد أستيقظ لاستقبالك أتعطر .. أتزين .. ألبس أفخر الثياب .. أتفرس في صورتك الملقاة بإهمال داخل تلافيف الذاكرة الكثيرة أنثر شعري ... كلماتي وعباراتي ..أنثر المسك مع الورود والرياحين وجودك يملآ القلب والذاكرة والروح... أصر على بقاؤك داخل الحلم مستيقظاً .. واعياً باستماتة .. فيضٌ من الود يتدفق داخل قلبي ويملأ أرجاء الكون ...اتكأت على حافة الحلم أتأملك ساعة حضورك آه يا سيد اللحظات.. كانت الهوة عميقة بيني وبينك يا رجل..آن الأوان لتصفية حسابي مع الذات أي حلم يأتي بك الآن وأنت لا تجتازه إلا

متدثـراً بظـلام مدينتـي ..تعـبر أزقتـي الخلفيـة مسـتتراً.. تـسرق الخطـى ..تـسرع خائفـاً مذعـور .. متخفيـاً عـن أنظـار الواقـع الأليـم وقسـوته .. تسـتغفره سراً آه يـا رجـل مـا أبأسـك وأنـت تفـترش حنينـي أرضـاً ..وتـدوس دمعـة تسـتقبل ولوجـك عفـواً.. وترفضنـي بوقاحـة لا تليـق برجـل ..ثـم تلـوح بالحلـم بعيـداً.. تسـتأذن تقاليـدك وتنتبـه ذعـراً لعاداتـك.. تصفـق بـابي بشـدة ثـم تخـرج مـن أوسـع الأبـواب أي عـادات .. وأي تقاليـد يـا رجـل نحـن نلـج حلـماً ..نسـتبيح حنينـاً .. نعـري شـوقاً لنـا لا يطـاق وأنت لا ترفض واقعاً أنانياً و تستميت في التشبث بتلابيبه رغم ابتذاله لك .

قطعـتُ أنفـاسي .. قطعـتُ دقـات قلبـي .. قطعـت اتصـالي بـك إثـر يقظتـي فجـأة مـن إغفـاءة لذيـذة ثـم خرجـتً مـن حلمـي.. تدحرجـتُ.. رافعـة يـدي عالية ألـوح برايتي .. المنكسرة والمنتكسـة خاليـة الوفـاض منك .. أطلب تفسـيراً مقنعـاً لحلمي يرفعك في عيني ساعة يقظة.

(51)

تعاقبني على معصية حبك بالغياب دون رحمة.
تعتادني مدارج الطائرات .. تعتاد صمتي
قلقي .. تعتاد لحظة انتظاري لك.
تعتادني المطارات .. وشرطة الجمارك.
وجوازات السفر تعتادني قاعات الانتظار.
أتـدري ..تتبعـثر نظـراتي التائهـة عـلى كل الطائـرات المتجهـة شـمالاً.. كي أودعـك كل صبـاح ... أحتضـن الأفـق البعيـد ببـصري المشـتت لعـل الأفـق يشـفق ويحمـل سـلامي الحـار إليـك ..تتكـسر الدمعـات ..ثـم تنسـاب ..تسـقط عبثـاً. بعضها يتحجر في القلب.
فعـذراً يـا سـيدي ..فأنـت مـن يـضرب خطوطـه كسـاحر في الفضاء كي ترحـل .. فـارس لا يُشـق لـه غبـار .
وأنـت مـن يرسـم مسـارات الطائـرات ..مـن يقـرأ النبـؤة في سـماء الروح... ويكتب تعويذة الرحيل فوق خارطة
القلب .. وسلامة هبوطها بعيداً عنه

obeikan.com

وأنت من يعطي الأذن بالرحيل .. ساعة

الإقلاع بكاء..ولحظة الهبوط ترقب.

تتكسر الدمعات.. النظرات.

وينكسر القلب ... ينسحب الترقب.

فعذراً سيدي..

أنـت مـن قـرأ الخارطـة بالمقلـوب .. في وقـت لا يحتمـل الخطـأ من جعل المسـارات تتقاطع .. من أربك خطة السـير في سـماء القلب لحظة تصادم.

obeikan.com

(52)

أحبك حباً بلا هوادة .. وأخبئك سراً داخل الكلمات ..وأعلن بعضك .. أتنفسك عطراً وأهيم بك من السطر إلى السطر.

لستَ إلا رجل صنعتهُ من حنيني .. واشتقت إلى وجوده.. سويته من نهمي الشديد لممارسة الفرح والحب والكتابة .. عجنته من أوهامي وأحلامي ..قمت بنحته وفق مقاييس جنوني وطيشي..واخترت له ما شئتُ من ألواني ونفخت فيه من روح كلماتي وحنيني .. جنياً للعشق صار .. وكائناً كان وحبيباً للهوى أستوي.

خذلتني كلماتي وسرحتْ بك داخل خلايا الدم وتجذرتَ في القلب وتسللتَ يا رجل خلسة إلى العمق ساعة غفلة. بربك أقول ..كلماتي تحتاجك أنت .. وتجتاحك أنت بالذات .. تهاجر إليك تهاجر إلى شمالك .. إلى وحدتك .. إلى غربتك ..تصرعك ثم ترتد تبدأ في التراجع بهدوء ثم تستلقي عند حافة سن قلمي ..وربي ..يرتعش القلم بشدة في يدي ..يدور حول نفسه ..يته .. ينتفض وجداً .. يرشح عطراً .. يتزن قبل أن

يبوح .. والورقة تطلب مزيداً من المداد.. من العشق ... مزيداً من اللقاء .. مزيداً من اللحظات.

يا سيدي هناك أنا أجلس بين إغفاءة سن القلم وحاشية الورقة مازلتُ مصرة على اللقاء بك في ظلال الكلمات .وفي الزاوية الخلفية للأبجديات وعند مفترق طرق الخطوط حيث تتقاطع دون لقاء.

القلم يرتعش يا سيدي إذ يذكرك .. وفي القلب فيض منك .. ويستسلم بياض الورقة للحد القاطع من قلمي وللغضب من كلماتي وللجنون من حنيني.

تنزلق الكلمات من حلقي.. لكن بياض الورقة يزداد.. تنزلق الكلمات إلى داخل القلب المصقول بحبك.. تتهاوى.. ويسقط قلمي كغصن مكسور في الفراغ .لا سبيل إليك يا سيدي .. لا سبيل يا سيد اللحظات المسروقة منك وإليك فلترحل كلماتي إلى جهة غير معلومة .. مادمت توصد الأبواب.

obeikan.com

(53)

أنـا في.. ميـدان.. أخـسر معاركـه منـذ البدايـة ..أمتشـق أسـلحتي.. عطر..ودمـوع.. وحفنـة مـن كلـمات الحـب تثقـل كاهـلي.. تمـلآ أوردتي ..ترهـق روحـي .. ومتعبـة أجـر حنينـي وطعـم الهزيمـة أشـعر بـه ينـزل ... يتتابـع عـلى قلبـي قبـل أن أسـعى حثيثـاً إلى أرض المعركـة في الميـدان أفتـح عينـاي عـلى اتسـاعهما دهشـة وفـزع وخـوف أصرخ .. كل هـؤلاء الجنـود!

لمـاذا كل هـذه المتاريـس؟ كل هـذه الأسـلحة !وتسـتقر قذيفـة طائشـة مـن مدفعـك في القلـب.. لا أترنـح .. لا أتهـاوى ولا أسـقط.. واسـتعد لـك.. كلمتـي قذيفـة .. دمعتـي جـسر.. وعطـري غـاز مسـيل للدمـوع ..وتهتـف كعادتـك .. ترتجـف في خـوف كل هذه الكلمات ... كل هذا العطر ! لماذا كل هذا الشعر؟!

يسـحقك التألـق ..وتسـتعد دمعتـي للانحدار..تتحفـز كلمتـي للانطـلاق.. ويتهيـأ عطـري للسـحر.. أقذفـك بكلمـة فتتهـاوي.. أحذفـك بدمـع ةفتسـقط.. يـسري عطـري إليـك فتترنـح أقـول بعنـف ... بعنفـوان وجـبروت "أحبـك" فتمـوت خوفـاُ

تقتلك كلمة الحب بشدة حروفها العملاقة .. تنسحب إلى الخلف رعباً.. أخيراً أكسب المعركة.. لكنني انسحب بهدوء. منتصرة .. منكسرة .. وفي القلب قذيفة.

obeikan.com

(54)

تتدفق الثواني .. وأظل مسهدة أنكش وجه الورقة الأبيض .. أعفره بالحبر .. أحاول غسل قلبي المسكين .. من بعض آثارك .. يتدفق الزمن وأظل أقاوم هيمنتك على تفكيري .. لكن مقدرتي على المقاومة تخذلني ويظل قلبي كما هو.. تتدفق الثواني لا تسألني ماذا فعلت بي .. وكأنني حينما أنوي مغادرة أرضك ترتد خطواتي بالمقلوب إلى الخلف .. وأعود محملة بالهزيمة .. وبمفردي أزرع في كل شبر من أرضك ألف لحظة حب.

ما حيلتي إذا كنت لا تستيقظ في دمي إلا لحظة المغادرة بالذات. ما حيلتي إذا كنت اليوم حبيبي .. تنهض عندما ينام الكون ترتدي عباءة الحلم ..تجوس خلال أوردتي .. داخل أعماقي ثمة رقعة يلفها الضباب تنتهكها تدوسها وتلج أبوابها عنوة وأنا أتجرع المرارة وأحتفي بالبهاء الذي يشع من عينيك بفعل نشوة الانتصار .. وأسترق النظر إليك وأخجل من نفسي لأنني خذلتُ نفسي وأحببتك حتى حافة البكاء حتى الجنون.

(55)

بكثافة يغزوني الحنين هذه الليلة .. بي شوق لسماع صوتك.. والرحيل عبر نبراته الحنونة .. كم أنى أن أسمعك تتحدث .. أريد أن أسمعك فقط أن يتخللني صوتك ويحتلني من الوريد إلى الوريد.. أن تسافر نبراته الحنونة إلى القلب ... تمزق شغافه برقة وتستقر.

أتدري..؟ أدرك وأفهم وأحس بأن الطريق إليك صار مقفراً.. موحشاً ومحفوفاً بشتى أنواع المخاطر.. كالطريق إلى جهنم تماماً والكلام معك يضيع بمجرد السؤال عن الحال.

يا سيد اللحظات البعيدة البعيدة إصراري يزداد ضراوة هذه الليلة ..حماقاتي أكبر من لحظاتك يا سيدي تنفجر دفعة واحدة في وجه صمتك وحيرتك ولامبالاتك وجبروتك.

سأستأذن القلب منك.. وسأستفتي الروح فيك وسأرتكب أكبر الحماقات سأرحل إلى يوم القيامة.. بمعصية حب.

صحفي تتطاير .. أعمالي تتناثر .. ميزاني يتأرجح..

حساب هائل ترتعد له الفرائص هولاً وأهوال وصراط مستقيم..

جسر ممتد .. منصوب على متن جهنم أدق من الشعرة وأحد من السيف سأعبر إليك قيامتك رائعة سيدي .

فرغم الصمت المقدس كان هناك سيل من الكلام ينهمر ورغم الليل الساكن كانت هناك شلالات من النور تتدفق ورغم الشتاء كانت هناك أمواج من الدفء تتوالى ورغم الأهوال والعذاب والحنين كانت السكينة تغمر روحي .. أثناء مروري يا سيدي تعثرتُ بحرفك الوهاج .. فالتوى كاحلي .. لكنني تشبثتُ بروعته وتحديتُ سطوة السحر وغالبت هيمنة الجمال .. وسرت أجر أذيالي متعثرة بالغموض.

ولكن لستُ من السبعين ألف الذين يمرون إلى الجنة دون حساب ولستُ كالذين يمرون كالريح ولستُ كالذين يمرون كالبرق أو حثيثاً كالإبل ولستُ نادمة لأنني طردتُ في تلك الليلة من جنتك حتى ... دون أن أمر على الصراط المستقيم .

(56)

أحبك بلا بداية ولا نهاية ..وأعشقك وأحتاجك إلى ما لا نهاية وأبحث عنك...

سيدي تعمق لدي الشعور بالجمال.. بالدهشة.. بالحزن.. بالوحدة في حضرة الغياب الطويلة .. فلماذا .. لماذا تسترق النظر إليَّ خلسة عند اللقاء؟

لماذا تنسحب في قمة توهجي بك ..تستأذن دون رحمة ؟ لماذا تقطع السؤال الحائر والتائه بين شفتي.. تقتله قبل أن أنطق به؟ لماذا تنسحب بسرعة قبل أن أشفي غليلي من لحظة اللقاء بك؟

تلك اللحظة التي أجن بها .. أنها تقتلني سيد اللحظات ولا استطيع الانتقام .

كانت اللحظة مليئة بالدفء.. وكان قلبي ملئي بك.. مسحور بك حد العمق ..مسحور بتلك الدقائق حد الانتشاء.. حد البكاء ودفتري أمامي مبتل ..بالكلمات.. بالعطر .. بالدموع.. وأنت رجل .. تنهشك الغربة .. تشتهيك أبجديتك التائهة

openkan.com

الضائعة في كلمات العشق .. تشتهيك كلماتي .. أحرفي لكنك مأخوذ بها تلك الأبجدية العارية من النقاط .. وتلك الحروف المقهورة بلا همزات .. وتلك الكلمات المجرورة إلى الصقيع.. أرشقك بخوفي عليك.. بلهفتي .. بعربيتي ..بالضاد في كلماتي.. أحذفك بدموعي أرشقك بأرقامي العربية وأسلط عليك أرقام هواتفي.. وبعضاً من عطري وتوجسي.. ودهشتي.. لكنني أخبئ عنك في قلبي حسرة وترحل.. تستأذن قبل أن أشفي غليلي منك وقبل أن أقبض على لحظة اللقاء بك وأسجنها دون تحقيق أو رحمة.

(57)

بيننا زمن.. بيننا قرون من الحب.. وغربة بيننا حنين لا تسقطني سهواً من بال كلماتك.. لا تكتبني على هامش زمن مضى .. لا تعلقني بمشبك على حاشية كتاب وترحل تاركاً بين أوراقه بعض الأخبار المؤجلة عنك وبعض الحب وشيئاً من الوجد والعطر ورائحة التبغ والغربة .

لا تنفي وعداً قطعته وأنا أتحسس وجهك المرسوم بدقة وسط شوارع مدينتي في تلك اللحظة وجدتُ ملامحك مندفعة فجراً وسط دمعة حارقة تسقط من القلب ساعة هطول المطر.. وساعة سماع الأذان وساعة مرارة تذوقتها ليلاً وأنا أتيه بك.

(58)

على جدران معبدك نقشت إرهاصاتي الأولى لعبادة جديدة.. أرهن فيها كل ما أملك.. الصلاة فيها تتربع على عرش النزق المهيب أدعوك في لحظاته لتتسكع في الأماكن المظلمة لأزقتي الخلفية المعتمة و المغلقة أبداً .. جئتَ و كأي معبود .. لم أسمع سوى صوت ارتطام إقدامك.. و صدى خطوك بقداسة على إسفلت قلبي يتردد .. مسحت بيمينك غباراً و ولجت ردها حاملاً قبساً هادئاً من نورك المقدس .. تجوس خلال أوردتي.. تقبض على حفنة من كرات الدم .. تبعثرها في الفضاء .. تفعل ذلك باستهتار .. و بقدرتك تعيدها إلى سيرتها الأولى ..

تتفنن في العبث بمتعة لا مثيل لها .. تقطع وريداً لتصل شرياناً .. تعزل هذا عن ذاك .. تلبسك سورة العبث فتتشبث بجدران الأوعية الدموية تنقش وحيك .. سوراً و بعض الآيات.. تلغي و تعيد دون أن تربك مسيرة دورتي الدموية الصغرى.. أو الكبرى تدس وجهك و تتفرس بإمعان داخل منعطفات روحي.. تقودك قدماك إلى أغوار سحيقة.. فعل الدهشة لا يفارقك

خـلال الرحلـة..

تنبهر تقول باندهاش : ماذا صنعت يداي بعبدي؟

و تتباهـى كأي إلـه بمخلوقـك و بهـذا النـزق الـذي أتلـوه عـلى هيـأة صـلاة تهـزم عنفـوان الزمـن .. تحطـم أدواتـه تقيـد ثوانيـه.. عقاربـه .. سـاعاته .. كل شيء إثـر العبـادة تتجمد اللحظـة و ترتدي مسـوح الأبديـة .. يغفـل عنهـا تدفـق الدهـر لكنهـا لا تتبـدى إلا في صـورة حسـناء رائعـة الجـمال .. أتـدري؟!! .. في نشـوة دعـائي الطويـل لـك لحظـة تجمـد اللحظـة عنـد أعتـاب معبـدك فيـما تنقـش يـداي بلغـة قلبـي صـلاتي الجديـدة اكتشـفت شـيئاً هامـاً و خطـيراً أزعجنـي و أبطـل مفعـول السـحر في القبـض عـلى تلابيـب الزمـن لحظـة العبـادة .. أتـدري مـا هـو ؟!! ... إشـارات سريـة لعبـادة قديمـة .. بائـدة لكنهـا منحوتـة بعمـق.

(59)

حكاية هو ترويها طرقات مدينتي ساعة الفجر..ذات جمعة حزينة.. عندما يتلاشى صوت خطوات أبنائها ويختفي داخل المساجد ساعة إقامة الصلاة ... لم يكن معهم لكنه يصلي يمم وجه شطر حنيني.

تيمم بماء مالح أذرفه ساعة دعائي.. أستقبل قبلتي ردد توسلاتي ..وبدأ يصلي أتخطى عتبات الجنون به ..أهتف .. أيتها البيضاء.. أيتها المدينة تقبلي صلاتي .. أيتها المدينة تقبلي جنوني .. عشقي .. حنيني أنحني ..أنكسر أصرخ في وجه الريح والطرقات والخطوات المتعجلة يا الله يتوه قلبي بين أزقة المدينة .. يبكيه بألم.. وترتفع الأصوات . صوت المؤذن.. وصوت درويش تائهة وصوت بكائي ممتزجاً بعبارات دعائي المتقطع .. وصوت سؤالي التائهة يتلاشى بين حائطين فقدان جائر وحنين جارف .أين أنت؟!!

ويصرخ الدرويش .. يعذبه بكائي .. ويؤذيه حنيني يضيق صدر المدينة بي.. يكفهر وجه السماء تفقد ألوانها ..وينسحب المارة من الطرقات وتهطل الأمطار بشدة ذات جمعة حزينة.

(60)

ضـوء القمـر يختبـئ خلـف سـحابة سـوداء قاتمـة يختبـئ في حيـاء وخجـل لكنـه يرسـل أشـعته فتسـقط كشـذرات فضـة عـلى وريقـات الأشـجار.. داخـل البيـت العتيـق تجلـس وحيـدة تلتقـط الإبـرة وكـرة الصـوف وتبـدأ في تكملـة قطعـة لنسـيج صـوف ملقـي بإهمال على المنضدة الخشبية فيما ترقب عيناها عبر النافذة..

ظـلاً لحركـة قمـم الأشـجار البعيـدة وهـي تتمايـل عـلى صـوت نـاي.. العاصفـة الهوجـاء وظـلاً لرجـل هـارب مـن حنـين ولهفـة وأنـين .

وظـلاً هائـلاً للجبـل وهـو يحتضـن المدينـة ... تمـد يدهـا المرتعشـة إلى جهـاز الجـوال الموضـوع أمامهـا مبـاشرة .. تحتضنـه .. تسـتحضر رقـماً نـام في ذاكرتهـا طويـلاً ..تنفـض عنـه غبـار السـنين .. تنفـرج شـفتاها عـن ابتسـامة صفـراء باهتـة .. ويخفـق القلـب بشـدة.. تضغـط الأرقـام المحفـورة في الذاكـرة وتنتظـر.

في القلـب أشـياء كثـيرة لا تعرفهـا إلا أحيـاء المدينـة جاءهـا الصوت الآلي متقطعـاً .. بـارداً لا حيـاة فيه...

-الرقم المطلوب خارج نطاق التغطية!

عندها تأكدت أنها صرخت كثيراً في وادي فارغ خارج نطاق كل شيء .. العاصفة الخريفية تشتد كأنها تريد اقتلاع الأشجار الكثيرة المحيطة بالبيت العتيق من جذورها .. تشعر بالألم يزحف رويداً من القلب ليصل حداً لا يطاق ..وفي محاولة بائسة لقتل الرتابة ودحر شبح الملل تضغط على مفتاح التشغيل لجهاز الحاسوب.

صديقان حميمان منذ الأزل يتألفان .. الحنين وقلق الانتظار. تنبعث موسيقى نظام التشغيل .. ثم تأتي موسيقى السيمفونية الخامسة لبيتهوفن صاخبة شجية .. مشحونة بالغضب .. تنظر إلى السماء .. ثم تتوه في أول غيمة متجهة نحو الشمال.. ورويداً رويداً.. تتوقف الموسيقى..ويبدأ الجهاز في بث أصوات متداخلة .. لا تدل على شيء .. ثم يصمت إلى الأبد.. تحملق في الجهاز بشدة..

نظراتها كانت تحمل معنىً واحداً محدد هو الخوف الممزوج بالدهشة ..تتمنى لو تشرق الشمس ويأتي الصباح سريعاً.

تود إلى الإبرة وقطعة النسيج ..ينقطع التيار الكهربائي فجأة.. فتشعل شمعة.. تتحسس طريقها في بطء تتجه صوب النافذة.

طرقات المدينة خالية ....تردد في القلب أشياء كثيرة لا تعرفها إلا أحياء المدينة تعود إلى مكانها .. تجلس في صمت .. تقرر سأنتظر حتى الصباح!

تشتد العاصفة.. تعربد الرياح في جنون .. تنفرج النافذة ثم تنطبق بشدة وتنكسر .. تسري قشعريرة في أوصال الفتاة أخيراً تقرر مغادرة المكان.. ترتدي ثيابها في عجل.. تلف شالاً من الصوف.. تلتقط حقيبة يدها .. وقطعة النسيج التي لم تكتمل بعد والإبرة .. ثم تغادر المكان.

تضرب في شوارع المدينة بلا هدف .. فيما يبدأ جهاز الجوال في الرنين المتواصل داخل البيت العتيق .. وتعود الكهرباء .. فيرسل الحاسوب موسيقى السيمفونية الخامسة لبيتهوفن وتهدأ العاصفة.

obeikan.com

(61)

على حافة الجبل تتكئ المدينة..

وعلى حافة بيتها العتيق تتكئ امرأة

وعند حدود الجسد المنهك للمدينة

يتكئ.. يضع القلب الحزين في جيبه

ثم يغادر الفجر ... يغادر أنسام المدينة.. موغلاً في

غربته متجهاً نحو صقيع الشمال تائهاً.. متسكعاً ..

تستقبله موانئ .. بحار .. محطات .. لا تعرف السكينة

تبكي

المسكينة

آخر أناشيد القلب.

oberkan.com

(62)

يتعب الدرب من ركضنا ونتعب .. فنجلس معاً ننقش على صفحة الرمال خطوطا تمثل مستقبلنا اللذيذ وننظر إليها باسمين .. ماذا أصابني وأنا أنظر في صفحة الرمال محدقاً مأخوذاً بالمستقبل الغامض الذي نقشته .. ها نذا أحلم بشد أوتاد بيتي .. وأجوب شاقاً أحياء القرية ..داعياً لأحياء ليالي عرسنا البهيج .. مترنماً بأغنية "علم " بدوية من الطراز الرفيع الذي لا يفقهه سوانا من البشر. وأقول .. هلمي بنا يا صغيرتي نصنع من الحلم حقيقة وأنصتي إلى أغنيتي البدوية وأصيخي السمع وتعالي نبحث عن أخرى تماثلها فأن فيها معنى يتمرد على إيقاعات الصخب وقواعد الغناء التي جرفتها أمواج البحر وقذفت بها عبر الموانئ مع متسولين أشقياء يرقصون على نغمات قيثاراتهم الهاربة دون انسجام.

مرت سنوات على هذه الحادثة .. لا أدري كيف تبخر الحلم .. ولا كيف ضاعت مني المرأة الاستثناء دون إنذار .. ولكن أؤكد بأن ذلك لا صلة له بالبدوي المتمرد الذي يسكنني ويرتدي عباءة جسدي البدوية التي تجعلني أتباهى وأنا أقف أمام

مـرآة غرفتـي الطويلـة أخـدع نفـسي أن نسـاء الكـون ينظـرن إلى بإعجـاب مـا هـذا ببهـاء ولا يحزنـون .. لقـد ضـاع الحـب .. ولا أدري كيـف ؟ ولمـاذا أصبحـتُ فجـأة خـالي الوفـاض إلا مـن دمعـة تسـقط عندمـا أشـم رائحـة البحـر عـبر تلافيـف الذاكـرة عندمـا تتوهـج.

تزوجـت امـرأة أخـرى لا علاقـة لهـا بالبحـر ولا بأغنيـاتي البدويـة وأنجبـت.. أنهكتنـي السـنون والدنيـا والنـاس وصـارت عبـاراتي وأغنيـاتي كلـمات تحتـاج إلى ترجـمان كي تصـل إلى مسـامع أحفادي.

أختلـط الحابـل بالنابـل ولم يعـد شيء لـه طعـم ولا لـون ولا رائحـة ..ذات لحظـة مـا مـن زمـن مـا وجدتهـا أمامـي .. انبثقـت كـما تنبثـق المعجـزة .. يضـوع عبيرهـا كخضـاب حنـاء .. أذهلتنـي المفاجـأة التـي لم أكـن أتوقعهـا.. دنـت منـي يتقدمهـا عكازهـا .. بقايـا امـرأة .. لم يبـق منهـا سـوى رائحـة عطرهـا القديمـة .. تمسـح بمنديـل باهـت حبـات عـرق تـلألأت فـوق جبينهـا الـذي عبثـت به ريشـة الزمـن الآثمـة وخطـوت صارخـاً كالمجنـون هاتفـاً باسـمها..

رفعـت السـيدة العجـوز رأسـها ومسـحت ببصرهـا الكليـل وجهـي المتعـب ارتعشـت يداهـا وتمتمـت بكلـمات لم أتبينهـا.. لمحـتُ دمعـة تألقـت دون انطفـاء بـل انسـابتْ عـبر أخاديـد الزمـن الآثـم سـقطت الدمعـة بيننـا .. ثـم افترقنـا.

(63)

تقترب الشمس من المغيب.. ترسل أشعتها الذهبية لتعانق صفحة الماء ..ثمة عاصفة هوجاء تشتد شيئاً فشيئاً.. البحر يرسل أمواجه كمارد يريد أن يتصدى للقدر ويعانق السماء ليؤكد بأنها امتدادا له ولكن عبثاً يحاول..على صفحة الرمال أثار أقدام ما إن تمحى حتى ترتسم .. لكن الرياح تعود لتمحوها من جديد .. أحدهم يسبر وهو يهذي مخاطباً البحر.. العاصفة تعربد والرياح سموم عاتية .. ثمة كلمات يتلعثم بها تارة .. وتارة يصيح بأعلى صوته بها .. وأخرى تمتزج بعبراته الحارة.

يبكي بمرارة ويخاطب البحر قائلاً "أسير وحيداً والليل يخيم على قلبي والعاصفة هوجاء ..أسير وأدرك بأنها لن تكون معي .. وهل يرافق الليل النهار؟..أسير أزرع وروداً ذابلة وسط صحراء قاحلة.. وأعلم تماماً بأنها ستموت .. أسير .. وأدرك بأنه لو بكيت بمثل ماء المحيط لن ترافقني ..أتحسس قنديلاً أمسكه بيدي لعله ينير لي الطريق ولكن عبثاً فزيت القنديل الماء .."

تنطفئ الشمس ويبدأ الليل في نسج ثوبه الأسود المخيف.. الرياح ترسل عويلاً كعواء الذئاب الجائعة .. أخذ يتأمل البحر وكأنه يراه للمرة الأولى .. حاول أن يبتسم .. ولكن أخذ يقهقه كالمجنون .. هدأ وعاد يهذي من جديد .. مبعثرة هي الكلمات التي تنطلق من بين شفتيه ..غير مفهومه ربما لو رتبت لكانت قصة .. ولكن ثمة سؤال يطرحه على البحر في وضوح وسخرية.. هل يرافق الليل النهار؟.

حاول حبس دمعة تألقت لكنها سرعان ما انهمرت.. أخذ يعدو وكأنه يهرب من شيء ما يطارده ..فجأة سكن أخذ البرد يتسلل شيئاً فشيئاً ويدخل عبر مسام جسده المنهك.. لم يهتم .. فلقد قرر شيئاً وعزم على تنفيذه.. بدأت صدى صرخاته تتردد بقوة وعنف.. دفن رأسه بين يديه وبكى بمرارة.. هاج البحر وكأنه يقدم له احتجاجاً.. أقترب من البحر.. أقترب أكثر وأكثر.. ثم رمى بنفسه من فوق أعلى صخرة على الشاطئ .. عانق أمواجه.. طافت ذكرى ما في خياله.. ثم أخذ يغوص في هاوية بلا قرار وفي الصباح أشرقت الشمس من جديد.. البحر يرسل أمواجه في هدوء..الرياح نسمات ندية.. هادئة.. حنونة.. رمال الشاطئ تحتضن جثة رجل .. كان يسير وحيداً .. ويتمنى لو ... يرافق الليل النهار.

(64)

نافـذة غرفتـي مفتوحـة .. وأنـت هنـاك .. تجلـس .. في الزاويـة الأكـثر دفئـاً لحلمـي وأكـثر صدقـاً لبوحـي وأكـثر عمقـاً لكلـماتي.

بـدت مشـاعري تتدافـع بكثافـة عـلى الـورق سـيد اللحظـات.. الأمطـار تتغـزل بشـوارع مدينتـي .. تعانـق الأسـطح .. تـضرب الأرصفـة دون هـوادة أراك .. ترتـدي أنبـل الملامـح وتقبـع بوقـار.. تتغـزل بكلـماتي .. ألمحـك تبتسـم .. كائنـاً شـفافاً .. بلوريـاً كأنـك خلقـت مـن رذاذ المطـر أتنهـد في ارتيـاح أشـعر بـشيء غريـب ينمـو بقـوة في داخـلي مـع الهطولهطـول كلـماتي أم هطـول المطـر.. أم الدمـوع السـاخنة.. أم الحنـين.. أم هطـول وجهـك الطيـب؟

تتهـاوى كلـماتي.. تتشـتت زخَّـات عـلى الـورق..ولا أدري لمـاذا تـئن كلـماتي في صمـت؟

مـرة أخـرى بـدا لي وجهـك متماهيـاً ومتلاشـياً في الزاويـة.. أقبـض عـلى الحلـم باسـتماتة .. كانـت الكلـمات تنشـأ بـين أنامـلي وتتعلـق.. تتأرجـح فقـد تـسرب وجهـك وتجـذر في عمـق كلـماتي الخيبـة تقتفـي أثـري عـلى الـورق.. رفعـت سـن القلـم.. خوفـاً مـن

التلاشي داخل كلماتي المبعثرة.. زَخَّات المطر تتلاشى عبثاً على الرصيف تفوح رائحة التربة الرائعة .. وتفوح كلماتي بنسائم الحنين.. ويفوح فنجان قهوتي برائحته الزكية .. ويفوح المكان بك.

مرة أخرى أتأمل المكان حيث أنت لكنك ترتشف قهوتك.. تتمسح بكلماتي ترتديها ..كي تتدفأ بنار الحنين وتتدثر بالشوق من البرد قبل أن تخرج على رؤوس أصابعك لا تغلق الباب .. لا تغلق النافذة ..ولا فنجان القهوة ولا تغلق كلماتي ولا حتى تغلق السؤال الحائر خلفك أظن أنك مازلت تقييم بيننا ؟!

obeikan.com

(65)

الحـرف التاسـع والعشريـن في لغتـي أنـت ..سر لغتـي ..تفوقـي عـلى الضـاد .. حـرف أشـعر بـه قريبـاً أكاد ألمـس وجـوده كلـما تنفسـتْ كلـماتي بـك.

حرفـاً يبعـث الحيـاة في نقـوش الأولـين المرسـومة في الكهـوف كيـف يكـون لحـرف زائـد عـن اللغـة كل هـذا البهـاء كيـف يكـون سـبباً في هـلاكي.. في مـرضي بـك سـيد اللحظات..أتـدري؟

الحـرف ليـس دائمـاً متعـة بـل سـحر.. غمـوض ..سر مسـتعص يؤرقنـي.. يقـض مضجعـي.. حنينـاً هائـلاً .لم أكتبـه بعـد .. بـوح خـرج مـن بـين دفَّتـي كتـاب ضائـع .. مفقـود تنكـر لـه أبـن الجنـي .واسـتغربه المـبرد.. لكـن " الفراهيـدي " أطـرق مليـاً قبـل أن يقـول بنـبرة جافـة .. اكتـوتْ بالفجيعـة ..لا نعرفـه.. لا ندريـه .. لكننـا ندركـه لم يكـن مـن عـروض شـعرنا ..بـل فاقـه سـحراً .. أراد " الفراهيـدي " أن يتخطـى عتبـات الانبهـار والذهـول التـي زرعهـا حـرفي عـلى الـورق ..لكنـه انسـحب بهـدوء صامتـاً سـحب كتابـاً مـن كتـب عروضـه .. دخلـه .. رمـى عـرض الحائـط باندهـاشي وتسـاؤلاتي .. فتـح غـلاف الكتـاب المذهـب واختفـى بـين أوراقـه الكثـيرة وعروضـه.. حاقـداً.. تـاركاً خلفـه سـحابة مـن غبـار التاريـخ.

(66)

الظـلام إلا مـن شـمعة..ضعيفة.. مرتعشـة.. ينـوس ضوءهـا في بـطء .. أنَّـات خافتـة.. محمومـة.. تصـدر عـن جسـد مسـجي.. ينتفـض الجسـد بشـدة.. يرتعـش بفعـل كابـوس مزعـج صارخـاً بأعـلى صوتـه الضعيـف المبحـوح محتجـاً لا!.

ينتبـه إلى أنـه لا يـزال نائمـاً في حجرتـه .. يسـتوي جالسـاً.. يتنهـد بعمـق ..يقـول يـا لـه مـن كابـوس.. تمتـد يـده مرتعشـة إلى كـوب مـاء كان موضوعـاً عـلى منضـدة صغـيرة إلى جـواره.

الريـاح تصـدر عويـلاً مرعبـاً في الخـارج يرتعـش لـه بشـدة.. صرخاتـه تزيـد "لا".. الصـادرة مـن حنجرتـه المبحوحـة تتضاعـف.. دقـات السـاعة الحائطيـة في حجرتـه تشـير إلى الرابعـة صباحـاً.. يخـرج ورقـة مطويـة . تبـدو متآكلـة الأطـراف.. باهتـة اللـون.. يبسـطها برفـق.. وعـلى ضـوء الشـمعة الضعيـف يقـرأ.. تتعانـق أنـت والشـمس.. بـل وتتحداهـا في روعـة فإشـعاعك أقـوى ونـورك أعظـم .نـورك يبـدد ظلـمات النفـوس.

تتضخـم كلمـة "لا" تكـبر في صوتـه المبحـوح .. يحملق في الورقـة..

يفكر قليلاً ثم يستأنف القراءة يقرأ .. عندما تنفرد بنفسك.. عندما تجد نفسك وحيداً .. فتذكر بأن هناك روحاً تحوم حولك لترعاك .. وقلباً يخفق بعدد حبات رمال الوطن بالحب.. ورصيداً هائلاً من الأحباب.

يجول ببصره في كل أنحاء الغرفة .. هاأنذا وحيداً مقعداً وغريباً يضحك ساخراً ثم يضيف ومتفرداً بنفسي والوطن مهزوم.

يعود إلى القراءة .. عندها يرتد إلى الخلف .. مصعوقًا.

تتضاعف " لا "في عينيه .. ترتسم.. تكبر.. تكون كلمة كبيرة مرعبة بأتساع الكون . يصرخ ويصرخ و يصرخ يتغير يبدو شاحباً.. ينظر إلى الورقة .. في ذهول .. الحيرة تفتك به وسؤال غريب يجر خلفه علامة استفهام كبيرة يهتف .. كيف تتبدل الأشياء؟

في تلك اللحظة يحدث ما يشغله عن ما كتب في الورقة من عبارات الحب .. تجحظ عيناه .. تتقلص عضلات وجهه عندما تضيء الغرفة فجأة ويسمع دوياً هائلاً تقشعر له الأبدان .. يهتف بأسى .. تباً لهم .. ما أسرع ما يستأنف قصفهم .. ترى إلى متى تصمد هذه المدينة؟ يدفن رأسه بين يديه باكياً .. يتذكر رفاقه الذين سقطوا واحداً تلو الآخر في معركة خاسرة

لا انتصار فيها ولا غنائم ..وبألم ينظر إلى ساقه المبتورة وقد أنحسر عنها الغطاء القديم البالي .. يتذكر ورقته .. ورقة الحب .. لا يتذكر أين ؟ ومتى؟ وكيف ؟ كتبت .. ومن كتبها؟ ولمن كتبت؟ ينظر إلى نهاية الورقة لم تذيل بأي إمضاء؟ يهتف ساخراً.. الحب لمن والوطن منكسر؟ .. يقرب أحد أطراف ورقته إلى لهيب الشمعة .. يبتسم ابتسامة غريبة ماكرة خبيثة عندما يشاهد ورقة الحب وقد تحولت إلى رماد .. فجأة يسمع دوياً هائلاً لصوت قذائف ينكسر له زجاج النافذة التي لم تكن محكمة الإغلاق .. ثم تقع الشمعة بفعل ريح قوية .. لا يحرك ساكناً بل يظل ساهماً واجماً ثم ترتسم "لا" كبيرة على شفتيه .. لا يطلقها ..من هول ما يرى، تشتعل النار في جنون.. ثم رويداً رويداً تزحف لتأتي على كل شيء.

تتألق دمعة ساخنة في عينيه ثم تنهمر .. ولأخر مرة يسمع دوياً هائلاً .. ثم يسكن كل شيء.

(67)

تدفقت الثواني.. و في غمرة اندفاعي نسيت أن ذاكرة مرآتي.. ذاكرة بلهاء لا تقيس دقات قلبي إلا بوحدة الزمن اللعينة فأردت القفز على الحواجز .. ملوحة بالماضي في غياهب بئر سحيقة.. رهنت زينتي كما أهملت همس مرآتي العتيقة.. بعت أمشاطي.. أهديت قارورة عطري لبنت الجيران.. تخلصت من جدائلي الطويلة .. أتدري؟ كنت سأشتري بثمن جدائلي أرق هدية .. لأرق مخلوق وقع عليه بصري .. أنت وفيما كنت أصلح من تثبيت أنفي ليكون صالحاً للشم وللشم فقط نظرت مرآتي طويلاً في وجهي.. عدلت من طول قامتها قليلاً ليناسب طولي هذا الصباح .. خلعت صلابتها ثم ابتسمت هازئة .. ألقت بسؤالها الحائر في وجهي بشماتة قالت : و كيف ستمشطين جدائل شعرك الأسود المسترسل ؟

لقد نسيت مرآتي العجوز أنه لم يبق ثمة جدائل لدي . أدلف إلى الشارع .. أحاول إحكام الخيط المتدلي الذي يشد ساقي الأيمن و يثبته في جسدي .. يصدر صدري أزيزاً و برفق أتحسس

البراغي و المسامير المرشوقة فيه.. حسناً إنها بخير .. أسوي من وضع شعري المستعار.. أثبت عيني اليمنى و أتأكد من وجود اليسرى.. أتأمل المارة جيداً.. المحال.. السيارات.. أتسمر طويلاً أمام بائع الورود.. أغافله .. أقطف وردة حمراء و أهرب.. لكنها تذبل في يدي.. لن أهديك وردة ذابلة.. أبيع غدائر شعري و زينتي لأقرب مزين .. ابتسم سراً ..أتنهد بعمق ارمق المشتري الأبله .. أقبض الثمن الزهيد .. أتحسس النقود أتنفس بارتياح لقد احتلت عليه .. أسير ببطء .. أحدهم يرمقني بنظرة طويلة متفحصة تحمل كل معاني الخوف والحذر لكنني لم أتوقف .. أشتري الهدية ..أخبئها .. ثم أدير ظهري للعالم.. و في حضرتك لحظة الإهداء الرائعة.

يحتقن جسدي .. ينتفخ ثم يحدث انفجاري العنيف.. يتقاطر الجمع من كل حدب وصوب.. يحتشدون.. يجذبهم الانفجار الهائل المروع.. يطلقون صراخهم . ضجيجهم.. و أسفهم لاحتضاري كدمية حسناء.. و قبل انشطاري بثوان.. كنت أنظر إليك و كنت تبتسم بفخر و تلوح لي مشجعاً.. ثم تناثرت جثتي أشلاء من ورق.. تطايرت في الفضاء و غمرتك.. لكنك تقف.. أمامك طابور طويل من المعزين.. تتقبل العزاء بالابتسام و أنا أقف خلفك .. أطلق ألعاباً نارية ..و ابتهج.

(68)

كان ممـراً جبليـاً ضيقـاً ذاك الـذي سـلكته في سـبيل الوصـول إليـه .. كان كل شيء يبعـث عـلى السـكينة ويوحـي بالطمأنينـة ويشـعرك بالهـدوء والبهجـة .. ويغمـر نفسـك بسـلام فريـد يمجـده حضـور الربيـع .. كنـتُ أهيـئ نفـسي لاسـتقباله .. وعندمـا رفعـتً يـدي لأطـرق بـاب داره وجدتهـا ترتعـش ثـم تسـقط بوهـن في إيمـاءة يـأس وقنـوط ..ووجدتنـي أتهالـك مترنحـة أمـام داره الشـامخة.. ربمـا خوفـاً .. ربمـا رهبـة .. ربمـا خجـلاً .. لا أدري لمـاذا؟

وعندمـا تمالكـتُ نفـسي ووقفـت لم أصـدق بـأن هنـاك بيتـاً لا بـاب لـه .. أخـيراً دخلـت .. جذبنـي خيـط رفيـع مـن ضـوء شـمعة وقـادني إليـه .. وجدتـه يتصـدر غرفتـه الشـاحبة المضـاءة بضـوء خافـت شـاحب لشـمعة تتجـلى جـمالاً لروعـة امتـزاج ضوءهـا بضـوء القمـر .. وجدتـه نحيـلاً كأشـد مـا يكـون النحـول .. سـامقاً .. أسـمر كشـأن كل الذيـن يقتاتـون مـن قلوبهـم ويشربـون مـن مـاء عروقهـم .. جالسـاً أمـام مدفأتـه العتيقـة ودفاتـره المكدسـة دون نظـام.. تتبعـثر أوراقـه التـي تشـاغب ديكـوراً غايـة في البسـاطة

والروعة .. عندما استقبلني بحفاوة هب واقفاً كالعاصفة تماماً .. ورغم كل شيء فلقد ملأت رائحة كالمسك المكان كنت فقد أريد التعرف إليه ... أريد احتساء فنجان من القهوة معه .. والجلوس في بهو داره واكتشاف عوالمه المثيرة ..لكنه قدم لي شيئاً أخر جعلني أرتجف .. قدم قلباً شفافاً كالزجاج .. حياً ينبض بين يديه النحيلتين المعروقتين نبضاً رتيباً هادئاً حنوناً كشأن كل قلوب العاشقين .. كان قلب طيب ينبض بكل المعاني السامية .. كنت أنظر إليه ولا أصدق..

أيوجد من يملك مثل هذا الشيء الثمين .. ثم يكون مثلنا ؟

يأكل .. يشرب .. ينام .. ويمشي في الأسواق؟!!

وكان لابد لي أن أترك أثراً .. هذه الكتلة الحية النابضة تغريني بالنقش ..أنقش حرفاً.. أسماً .. عنواناً ... أي شيء .. كان لا بد لي أن أترك أثراً يدل على هويتي وأرحل .. فتركت دمعتي تسقط بين يدّي هذا القلب الرحيم ومضيت ..لكنني ألتفتت إلى الخلف .. ذابت الشمعة التي كانت ترسل خيطاً رفيعاً يقودني إليه .. ارتعشت ذبالتها إيذاناً بالانطفاء .. وبقى ضوء القمر ساطعاً ..يبعث أشعته شاهداً على انسحابي بهدوء.

(69)

ثمة صلاة .. صامتة .. بلهاء تنثر عبارات الدعاء في محرابها.. تتجلى روعة تتبدى سحراً يمتزج بعناصر ثلاثة .. ذلة.. وخشوع واستكانة .. تكتسح ملامح العابد في صورة ابتسامة.. صافية .. شفافة خجولة حينما تنبثق القامة الفارهة شاقاً طريقة وسط الجموع.. يبتلع العابد ريقه الناشف.. يرتجف.. يخنق ابتسامته الخجولة ويلملم عبارات دعائه الطويل ثم يبحث عن اقرب شيء يدفن فيه اختلاجة روحه التي يرتعش لها البدن رهبة وإجلالًا يقف العابد الذليل منحني القامة.. خاشعاً يرمق المعبود المنتصب بقامته الفارهة يتابع خطواته بيأس ويقتفي أثره يتضاءل أمام ظل القامة السامقة.

يتضاءل العبد أكثر حتى يصبح مسخاً كريهاً باهتاً فيما تتسامق قامة الذي اخذ بمجامع الروح وارتعش لرهبته الفؤاد يتضاءل الذليل حتى يتراءى دودة تسعى بين يدي عملاق.. يرتجف .. يبتلع ريقه مرة أخرى عندما يتجاسر ويمد عنقه.. يرسل بصره في وقاحة لا تليق بعبد ويحاول أن ينطق بثلاث كلمات.. لا غير .. ثلاث كلمات متناثرة .. متباعدة .. مرتجفة..

مهووسة هل تقبلت .. صلاتي؟

لكن الكلمات تموت فجأة على شفتي الذليل بإيماءة جسورة.. لا مبالية .. قاسية .. لا تليق إلا بوعيد الآلهة .. إيماءة متعالية من يد ذي القامة الفارهة كافية لقتل السؤال الحائر بين شفتي العبد .. في هذه الإيماءة فسر الذليل معاني وتأويلات شتى .. صادقته عقارب الساعة فيما يحاول إخماد جذوة ناره المشتعلة جاثياً بيديه .. لكن النار المستعرة تتطاول حتى تأتي على الجسد كله الذي ينتفض.. ينطق اللسان أخيراً في صرخات حادة متوالية .. النار ..النار .. النار.

الجسد يرشح عرقاً .. صادقته الساعة .. سامرته .. ضحكت باستخفاف لذله لكنها أطلقت زفرة طويلة عندما لم يفلح في منع دمعة كبيرة من السقوط على خده .. سهرت المسكينة في جوف الليل البهيم تعد له ثوانيها البطيئة المتثاقلة وتحاول أن تفك رموز الإيماءة معه .

قالت له : لعله ا لم يتقبل الصلاة الصامتة فاجهر بها .. لكن العابد الذليل اطرق ملياً قبل أن يخاطب رسولة الزمن العتيقة بيأس في صيغة سؤال حائر: وهل يتقبلها جهراً؟ أجابت رسولة الزمن وقد تعانقت عقاربها في جوف الليل عناقاً أزلياً - جرب!

(70)

امـرأة مجنونـة تـسرق الخطـى إليـك ..تنتظـرك غـداً.. بعـد غـد.. أو بعـد شـهر أو سـنة.. لا يهـم.

تنتظـرك عـلى حافـة.. الزمـن الآتي ..القـرن الآتي .. لا يهـم.. فقـد كانـت تنتظـرك بتاريـخ مسـجل عـلى جـدران المعابـد بخـط مسـماري متعـرج.. موعـد يُـضرب قبـل ميـلاد المسـيح ..تقـف معهـا ... تشـاركها جنونهـا المسـتحيل.

امـرأة تـسرق الخطـى إليـك فتـزرع وراءهـا حقـولاً مـن الكلـمات. والزهـور .. العطـور .. ومـن الصباحـات الجميلـة.

امـرأة تقـف .. تنتظـرك .. تطـل مـن وراء زقـاق منـسي في مدينتهـا.. تحـت نافـذة نصـف مضـاءة .. في الزاويـة الأكـثر توهجـاً في الحلـم بألـوان مشـعة .. وأنفـاس مشـبعة بعطـر يشـبه أنفاسـك و حضورك امـرأة مليئـة برغبـة مجنونـة في ضرب موعـد معـك عـلى حافـة حلـم .. عـلى حافـة ذاكـرة عـلى حافـة وهـم عـلى حافـة مدينـة عـلى حافـة تاريـخ مسـماري أو إلكـتروني .. لا يهـم.. حائـط منسي .. زاويـة.. مدونـة .. بريـد . إلكـتروني أو ورقـي .ورقـة كراسـة خواطـر مراهقـة .. رقـم منـسي في جـوال عاشـق ..لا يهـم .

(71)

صرت أطلب منه أن نتقاسم لحظة نادرة.. أردت الذهاب معه إلى ما يلهب حنيني .. كل شيء بدا مذهلاً .. رائعاً وأنا أستعد للدخول.. ملأت عيني بجمال اللحظة المدفون في قلبي.
ارتسمتْ بكل ألقها وجمالها الذي رسمه خيالي المفتون باللقاء.
يهتف بي جنوني أن املئي عينيك بالنور ..بالحياة به .. اقتربتُ نسمة محملة بنداءات خفية وشوق داعبتْ وجهي..إيقاع حزين كان يأتي من وراء الزمن المحسوب بالثواني مس روحي .
سماء اللحظة كانت صافية .. شعاع خفي من نور القمر كان ينوس بطيئاً ويتسلل يتسرب من وراء ستائر غرفتي .. وكنت استمع إليه حضوره كان طاغياً.
كانت اللحظة سخية به .. بكلماته .. شعره .. تألقه .. حنانه .. عطره .. أثاره.. لكنه لم يكن موجوداً .
كان الحنين يتأملني مشفقاً .. حزيناً .. لم يقل أي كلمة .. أقترب مني مد يده إلى .. سحبني برفق .. ثم غادرنا المكان .

(72)

تدركني لحظة هاربة.. تفلت من تلابيب الزمن الغابر.. أقبض عليها كمن يقبض على جمرة متقدة بين أصابعه.. ببلاهة أمارس خلالها فعل شنيع اسمه الدهشة.. تمر اللحظة الهاربة ينحني لها الزمن في وقار وخشوع.. يبعث بلحيته البيضاء المدببة بأصابع مرتعش .. ثم يتغاضى عنها.. يتظاهر بالغفلة عمداً ويتركها تمر.. الدهشة تتلبسني بالكامل.. وأنا أقف منحنية القامة ومتسمرة أمام حروف مصلوبة وبارزة فوق قطعة مستديرة من المعدن المغروس في الإسفلت الممتد عبر أزقة قلبك تحمل وشماً لإشارة الممنوع..تتلفت .. تطمئن إلى وجود حاشيتك.. تتفقد حراسك.. تعدل من وضع تاجك المرصع باللؤلؤ والمرجان تتناول مرسوماً من يد حاجبك الأمين الذي يقف خلفك مباشرة كحارس يتبعك كظلك تصدر قرارك القاطع.. تصرخ في قوة وكأي ملك جالساً على محفة محمولة على الأعناق..

-قفِ..

فأقــف .. تتشــبث خطــواتي بــالأرض .. تغــوص قدمــاي.. يحفــر كعـب حـذائي في الـتراب وألمـع عـلى ضـوء القمـر المسـتدير تفاحـة آدم تهتـز بشـدة إثـر صرختـك المدويـة.

قــفِ وتغمــز لي نجمــة مشــفقة بوميــض خاطــف ... يخــترق الســماء .. اقـرأ في وميضهـا الشـاحب نبـوءة فأشـفع لـك وأتابـع يـدك المرتعشـة وهـي تسـمح بمنديـل باهـت عرقـاً غمـر جبينـك

لمجـرد وقـوفي أمـام أسـوار القلـب .. تـصرخ "قـف!! "
فأقف ألتفت إلى الخلف .. لا أحد!!

هل أنا المعنية بأمر الوقوف الصادر من حنجرتك؟
يتلقــف نذيــرك النبــأ يعــبر بــه الشــوارع .. الميادــين الأزقــة.. يعلنــه عــلى الملأ ..تلاحقــه لعنتــي فيفقــد القــدرة عــلى النطــق ويمــوت .. وأتهــم بتســميم شرايينــه بالحــب كرشــوة لتحريــف قــرارات الســلطنة .. بعدهــا أعلــن تمــردي .. تتراشــق عــن بعــد ..أحذفـك بدمعـي .. أرشـقك بعجـزي.. أقذفـك بعلتـي وتوصـد أبـواب مملكتـك أمـام عاصفـة هوجـاء مـن المحبـة أفجرهـا أمـام قامتـك السـامقة .. وأرحـل لكننـي ألتفـت إلى الخلـف فأجـدك ترشــقني بســهم مســموم مثبــت في مؤخرتــه "أمــر الخلــع"

فيصيب مني مقتل وأدرك للمليون بأن دمعي .. عجزي وعلتي مناشير سرية تتآمر على خلعي من مملكتك وألمحك .. وأواصل الهرب لاهثة .. أتحرر من حذائي أقذف بحقيبتي تتبعثر مواد زينتي في الهواء .. تسقط مرآتي .. تتناثر شظايا .. أنظر إلى الخلف .. تتراءى لي أسوار قلبك الموصد وأخنق دمعة متمردة أحجبها بكفي عنك ..فجأة أقف وفي قلبي آخر الأماني .. أتطلع إليك بشغف ومحبة فأجد حاشيتك تخونك .. حاجبك الأمين يستل خنجره ليغتالك غدراً فيما عبارتك تدوي لتشق عنان السماء .. "قف" فأصرخ في فزع.. أحذر ... أحذر ... أحذر.

لكنك تواصل في رعونة.

-قفِ

ثم تدير ظهرك لي .. ترافق حاجبك .. تدخلا معاً ... تقفل بوابة قصرك وتمضي ..واكتشف بأن مملكتك من ورق وحاجبك من كرتون .. حشيتك دمى وسهمك المسموم قشة وأنا وأنت طفلان يعبثان أمام شاشة إحدى القنوات الفضائية التي تبث مسلسل تاريخي للأطفال تقول "قف أنا الملك .. وأنت الجارية.. "

نتشاجر على تمثيل الأدوار..

وأصر بسـذاجة الأطفـال عـلى تمثيـل دور الملكـة نتراشـق بالدمـى.

أتمـرد فتطـردني مـن غرفتـك .. تحرمنـي مـن

متعة اللعب معك فأقف أمام الباب أصرخ باكية..

قبلت العرض أنت الملك وأنا الجارية.

obeikan.com

(73)

ثمة جبلان.. يقفان بشموخ وكبرياء أحدهما يمتد من الشرق والأخر في الغرب بينهما الأرض الفضاء منبسطة .. جرداء..شاسعة الاتساع.. وبينهما أقف.. التقط أنفاسي لاهثة.. فيما تنثال ضربات قلبي عنيفة .. أكاد أسمع صداها يتردد في الأرجاء.. وعندما رفعتُ بصري إلى أعلى وجدت قمة جبل الشرق تكاد تلامس قمة جبل الغرب في عناق أزلي فأحسست بضآلتي وتفاهتي وصغر شأني وهواني..وجثوت .. اجل جثوت أنحني أمام عظمة القضاء الجائر حتى ليكاد يلامس رأسي التراب التراب.

وضعتُ رأسي بين يدّي وبكيت بحرقة وألم كما لم أبكي من قبل كنتُ أبحث عن شيء أتزود به قبل أن أعثر على قطعة الأرض التي أنتمي إليها والتي وضعوني فيها ذات صباح بعد أن جردوني من ثيابي وأشيائي وكل ما أملك وانهالوا علّي بالتراب والصرخات والبكاء والعويل .. قلت لكم أنني أبحث عن قبر شاهده يحمل أسمي وتاريخ وفاتي يقع بين جبلين المسافة

بيتهـما كـما المسـافة بـين السـماء والأرض.. صرت أذرع الأرض الفضـاء جيئـة وذهابـا أجـر أذيـال الخيبـة.. في القلـب جـذوة نـار تتقـد.. وفي النفـس غصـة وعـلى طـرف اللسـان صرخـة تحتـضر.. الحمولـة تثقـل كاهـلي رغـم أنـني لا أحمـل سـوى حفنـة ذكريـات وعـادة النظـر إلي السـاعة في معصـم يـدي تلازمنـي دائمًـا حتـى بعـد المـمات.. عندمـا راودني الإحسـاس بالزمـن شـعرت وكأنعقاربه لا تتحـرك ... إذ لا شـمس .. لا نجـوم .. لا قمـر.. لا شيء.

كنـتُ أريـد أن أحدثكـم عـن فعـل الملـكان الأسـطوريان وتمثيلهـما بجثتـي وعـن صعوبـة الأسـئلة التـي طرحاهـا عـلّي .. وعـن الجـزاء والعقـاب .. وعـن الجنـة والنـار ورائحـة المـوت الكريهـة وعـن يـوم الحسـاب الطويـل .. كنـتُ أريـد أن أحدثكـم عـن قـبري وكيـف قضيـتُ فيـه ليـالي الشـتاء الطويلـة والبـاردة أسـتجدي الـدفء. أسـتنجد بنبـات " العوسـج " لكـن أوراقـه الحـادة كالإبـر تقـض مضجعـي وعـن شراهـة دود الأرض الـذي أقلـق راحتـي وجـردني من اللحم.

كنـت أريـد أن أحدثكـم كثـيراً وأنذركـم لـذا اسـتعنتُ بسـحري ونحـري وغافلـتُ الملكـين الحارسـين الواقفـين عـلى قـبري.

وهربـت .. ولكـن لم أكـن أعتقـد بـأن قـبري خلفـي يتبعنـي وأنكـم

مثلي من الأموات رغم أنكم على الأرض.. نظرتُ إلى معصم يدي أدركتُ أنني تأخرتُ كثيراً.. عثرت على قبري دفعت بابه ودخلتُ في هدوء عندها أنهال التراب على البقية الباقية من هيكلي العظمي.. ثم استسلمتُ بشدة لعبث دود الأرض ووخز إبر "العوسج "وتلفعتُ بالبرد الذي ينخر العظام . ولا يزال بصري معلقاً بشيء يشدني إلى سطح الأرض بقوة.

opeikan.com

(74)

أحتفظ بتفاصيلك في مستودع ذاكرتي كلماتك .. بصمات من رجع الصدى لنبرات صوتك وبعض الصور هي كل ما تبقى من أشيائي الجميلة.

يقولون أن موت الإنسان مرتبط بذاكرته.. وأنت في الذاكرة.. تحيا .. تسكن .. تتنفس ..تعيش و تقيم مادمتً أنا على قيد الحب.

ضع نفسك في ألمي.. تحسس حنيني ..أنيني .. تفرس في أشواقي..لتعلم كم أنا بخير .. مادمتُ أشم رائحة حضورك عبر الموانئ البعيدة وعبر المحطات والسفن والبحار ..ومادمتَ أنت ميراثي الكبير من الدنيا.

(75)

ألمس كلماتك برؤوس أصابعي المرتعشة ..أتحسسها بشغف.. تنزلق بسرعة بفعل برودة العبارات.. تقهقه جدران غرفتي بخواء فاجع..وتعلو درجة اكتوائي بالهزيمة.

أحملق فيما خطته يداك .. عبارة إلكترونية مقتضبة .. وسلام مرتعش هارب.. ثم سؤال باهت .. بائس ..يجر خلفه علامة استفهام شامتة فيّ ساخرة من حالي .

أحفر عميقاً فيما يتخفى خلف علامة الاستفهام الشامتة.. وخلف السلام.. أستل ابتسامة متعبة من أعماقي الحزينة وأرد على سلامك بسيل منهمر من الكلمات تتساقط من أدفأ مكان في القلب.

تمارس كلماتي المجنونة حماقتها تستفز سؤالك الهارب .. ترد على السؤال بسؤال ... و هل تكفي الكلمات لكي يهدأ الحنين سيد اللحظات؟

أقفز على حواجز كلماتك البعيدة التي تأتيني عبر الموانئ والبحار في شكل ذبذبات بخط إلكتروني متعرج .. لا تحمل

دفء ولا تخفي شوق ولا تحتضن أنين وأمارس حماقاتي .. في الإصغاء إلى النداءات الخفية التي تنام في القلب وإلى صراخ لا يطاق مدفون منذ أمد يعلو في صمت .. وأخادع النفس بمرارة.. وأصحو على فجيعة .

ما هذا السؤال؟ أتفرس بجنون في الحروف يعلو الصمت.. يصرخ بمرارة-:

ما هذا بحنين ولا بهاء ولا يحزنون؟

obeikan.com

(76)

كلمة نادرة في دفتر خواطري السرية أنت.. أمسد حروفها بحنان .. أتفقدها حرفاً .. حرفاً.. أتحسس الكلمة .. لعلي أكتشف.. جاذبيتها.. غموضها .. ضعفها .. قوتها .

أتحسسها لعلي أكتشف سحر بعض المسالك .. سحر تفشى في كياني أيقظ مكامني .. غموض تصعب مقاومته غموضك رهان ضخم مع نفسي .. كأنني أعيد ترتيب كلمتي الأخيرة إليك.. لكنها ألتفتتْ صوبي.. جرتْ حروفها بعناد وواجهتني بقلقها.. أسئلتها ..وجمالها عرتْ ظلال روحي .. عرتْ ذعري من مجرد التفكير في فقدانك ..سحبتْ ألواني ..امتصتْ ترددي وسحبتْ اعترافاً .

كان حبك ينخر روحي ..ذاكرتي .. أعماقي ودفاتري .. أقلامي وحتى فنجان قهوتي كان حبك ينخرني بلا رحمة صحتُ متوارية عن الأنظار صحتُ من وراء حجاب صحتُ بقوة كأنني أحبك.. بل أنا عجزت عن تأويل ما يمكن من حبك.

(77)

سطا على كل كراريسي.. ودفاتري وعبث بدفترتحضير الدروس الذي كنتُ أخبئه خلسة عن طالباتي الصغيرات وأختلس النظر إليه لأرى ملامح لا تشبه إلا وجه وطني.. قسمات لا تشبه إلا طرقات مدينتي .. معالم تندمج في أزقتي.. ومفترق طرق وزاوية غرب أسارير الوطن.

واحتفي باشتعال الذاكرة .. واشتعال المساء والسماء التي تضيء بالبرق وتوهج وجهه الطيب عند مفترق الطرق وسط مدينتي ساعة هطول المطر ..تألق وجهه بين سحابتين وبَرَقَ بحنان وانهمرتْ دموعي تمسح حبات مطره السخي من على وجهي ويدي تدفن وجهه بين طيات دفتر تحضير الدروس وترتجف ثم تدسه تحت معطفي خوفاً عليه من دموعي ومن البلل ومن فضول المارة . عند زاوية ما تحت جدار متهالك من وطني صار بإمكاني الاحتماء به من شوقي إليه والتفرس بحرية في وجهه الطيب وضرب موعد معه خارج دفتر تحضير الدروس. وخارج ذاكرة إلكترونية تقاس بالبايت وخارج أسلاك الهاتف الجوال.. موعد مع خياله ... وهم وظل .. تحت المطر في ركن قصي من الوطن بفعل اشتعال البرق والذاكرة الحية ..واشتعال البوح اللذيذ.

(78)

لا تـرشي قلبـي بالسـؤال .. لتطمـئن لا تـزرع جمـل مبتـورة.. ناقصـة.. ترسـمها بمقصلـة ثـم ترحـل .
لا لسـتُ بخـير.. أتجـول عـبر حـروف كلماتـك المبتـورة .. حتـى سـؤالك عـن حـالي.. سـؤال خائـف .. مرتجـف .. خجـول ... رسـم بسـن قلـم قاطـع.. مـزق مـن حدتـه وجـه الورقـة ومـن قسـوته شـغاف قلبـي وتبعـثر الحبر .. و الدمـع وأنـا أمامـك أرتجـف حبـاً وشـوقاً .. بـرداً وحنينـاً .
وألعـن كل أدوات القطـع سراً وجهـراً أدفـن كل حماقـاتي في كلـمات سـخية إليـك .. أعـذب الكلـمات بشـوق لا يطـاق ..وأحـرق الحـروف بـألم لا ينتهـي .. يتغضـن وجـه الورقـة المسـكين .. يصفـر.. تتـآكل أطـراف الورقـة مـن شـدة الأنـين وضغـط كلمات الحـب وألم الفقـدان ومـن شـدة نحـت الأنـين مـع الحـبر والدمـوع ..تنـدب الورقـة حنينـي تُمَـزق وجههـا هـولاً .. تلعـن حبـي وتهمـس.. هسهسـة الورقـة تمتـزج ببحـة ثـم تختنـق بعـبرة حارقـة ينهمـر سـيل جـارف مـن الدمـوع وأخـط بسـن قلمـي القاطـع أن لا فائدة .. لا عـزاء لي.. لكنـك ورغـم السـؤال المبتـور تنتعـل الريـح .. تيمـم وجهـك جهـة الشـمال تتـوكل ثـم ترتـد .. تنقلـب لترحـل بعكـس الاتجـاه إلى قلبـي.

(79)

غيابك يعذبني ..يقلقني..

ألم لا تحتويه لغة يسرى في كامل جسدي

تسجل براءة اختراعك الفريد لأنيني ولا

تطلب مقابل ..سوى التفنن في إيذائي

لا لا تخف لن أشفى أبداً من مرضي بك..

obeikan.com

(80)

أقتات بحنين جارف إلى إنسان مقطوع في غربة قد لا تطول عن الوطن .. وغربة قد لا تنتهي عني لم أكن في حاجة إلى شيء قدر حاجتي إليه .. كي اسطر كلماتي هذه على حائط قد يتداعى يوماً وفي كراسة منسية داخل درج مكتبي قد تتآكل ويصفر لونها بفعل السوس .. وبفعل تقادم الزمن.

ما أغباني وأنا أنقشه وشماً في ذاكرتي حتى المات لكنه يخذلني و يضرب بعرض الحائط ناسفاً حنيني وأنيني وأشواقي ثم يرحل.

حين أكتبه ,,أتحول إلى امرأة أخرى لا تشبه كل نساء العالم مشاكسة لا تشبه هدوئي وخجلي وصمتي وعزلتي تنفصل عني وتتسرب إلى روحي وذاكرتي وقلبي تتزود بأشيائي .. تقتات بي ثم تنطلق امرأة مجنونة تضرب في طرقات المدينة تائهة بلا هدف .. توزع مناشير حنينها وأريج عشقها الجارف خلسة على المارة وفي الشوارع والبيوت والمحال يعلق أثر عطرها في ثيابهم وتكتب حنينها بغموض على حيطانهم وتقرأه منعكساً

في نظـرات أطفالهـم البريئـة وفي عيـون شـيوخهم ..وتخبئـه تحـت ثيـاب نسـائهم ترسـمه في دهشـة عـلى نوافذهـم المغلقـة وتنحتـه بعمـق عنـد مداخـل شـوارعهم العتيقـة وفي قلوبهـم وتنـثر حبهـا حتـى عـلى عشـب الأرصفـة .. وجـداول الميـاه ..وفي الطرقـات وفي المسـاء تعلنـه عـلى الملأ ثـم ترشـق كل مصابيـح المدينـة بشـوقها الجـارف فتنطفـئ تومـض نجمـة في السـماء باهـرة تـوزع أشـعتها التـي تمـلآ الكـون.. ثـم تنـام المدينـة عـلى عطـر وأنـين وحـب جـارف .

(81)

ينتابني وجهك الطيب .. فأتفرس في قسمات شوارع مدينتي بحثاً عن وجه يشبه طيبتك.

يتوغل بصري بعيداً في عمق عينيك .. لأرى في بؤبؤهما تلك الأزقة المخبأة .. والبساتين والعرائش .. وحقول الياسمين.

أغرق في عينيك عشقاً لأرى مدينتي ..أقبض على لحظة التماهي فيك ..أخذ نفساً طويلاً قبل أن أغمض عيناي .. وأرحل عبر دروب .. مدينة عتيقة تتكئ بثقلها على جبل شاهق .. نبتت فيه ..يحتضنها برفق و حنان .. تتنفس أبجدية لغتها القديمة وتتذوق حكايا غامضة نحتت بعمق على جداران مغارات "وادي الكوف".

(82)

رؤوس أصابعي مليئة بالبوح ..مثقلة بالأنين وخاطري يفيض بالكلمات ... أصوغ حبك سيد اللحظات أمنحه روحي وأشواقي .. وأشيده صرحاً خارقاً للسماء فلماذا ينكسر بوح الخاطر أمامك.

على الورق ويغتسل بالدموع والحبر؟ ولماذا عندما يجن جنوني بك .. أتوسد غيمة هاربة وأتركها ترحل بكلماتي وترمي بي عند حواف الوطن .. كي أتذكرك أستعيد أزقة مدينتي .. وصوت المآذن.. ورائحة التربة المعطرة بماء المطر والياسمين تتناهى إلى مسامعي أصوات تكبير المساجد .. وتسبيح أمي ساعة الفجر ودعاء جارنا المليء بالشجن وبالدموع .. وصلاة جدتي الطويلة عند أعتاب ضريح الأنصاري ... ساعة استجابة تستعصي على الفهم وعلى مدارك زمن ولى هارباً.. كي أتذكرك أستعيد رائحة البخور الممزوجة برائحة النوار ودفء البيت ورغيف الخبز ... وأصدق اللحظات من يوم الجمعة المحمل بالأشواق والحنين بحميميه الأشياء الجميلة التي لم نفهمها

جيداً إلا عندما تتسرب منا ..ولم نقبض إلا على الوهم والسراب بين الأصابع.

ساعة أتذكرك سأعبر القارات لألتقي بك لقاء عابر ولكن متجدد على حواف الكلمات .. وعتبة البوح اللذيذ .. تتغزل بك حروفي .. وتشاكسك الحركات .. الفتحة .. الضمة.. الكسرة وحتى السكون ... ستوقظك الفواصل والنقاط من غفوتك .. وستهزك الشدة بعنف وتحركك العبارات لتصحو من سباتك على رائحة حبي المعلق في الهواء أمام شرفات قلبك.

openkan.com

(83)

تتبعثر الكلمات.. تتشتت.. تتوه .. تغيب ..لكنها تعود تتجمع ثم تقف عند أعتابك ..تنحني لك .. تسجد ثم تستقيم كل الحروف.. فيكون حبك مرسوما مختوما موقعاً وصادراً بجلالة الكلمات.

و أعود فأقول لازلت يا سيدي تختبئ بين سطور كلماتي.. في انحناءة الياء أجدك.. وفي قوس الهمزة تستريح وحول السكون تلتف ومع استقامة الألف تقف وأقسم بك بعد الله لولاك ما كانت لتُخلق السطور ولا تولد الكلمات.. ولو حبك ما كانت أبجدية الحرف أكتبها ولسوف أكتبك خلال السطر وبين السطر وفوق السطر ..وأتوه بحبك من السطر إلى السطر أتنفس عبق الحبر المكتوب بك معطراً بالعشق والتيه والاشتياق من الألف ...إلى الياء.. وأقول لا زال جسد كلماتي مثقل بالكثير الكثير والقلم مسجي على الورقة ولازلتُ أتطلع إلى السقف وأحلم أشاهد تشققات.. وأتخيل عوالم وأصقاع.. أمارس حلماً لذيذاً وأرحل عبر جزر نائية عائمة ووسط هذا

البحـر المتلاطـم بـين مـد وجـزر.. أخـذ وعطـاء .. شـد وجـذب .. تـبرز صورتـك قابعـة في بـؤرة الاشـتعال والتألـق ... فأتمنـى أن أكتبـك .. أعيشـك .. أتنفسـك.

سري لا بـد أن تسـمعه ..أن أكتبـه .. عندمـا يتخاطـر القلبـان سـأبوح بـه بصـوت خافـت وأتمنـى أن يصلـك عـبر أسـلاك لا مرئيـة لكنهـا أسـلاك موقوتـة قابلـة للاشـتعال في أي لحظـة وفي كل لحظـة.. تشـتعل الكلـمات فتبـوح بالـسر.

لم أكـن أعتقـد بأننـي سـأقابل إنسـان في مثـل هـذه الروعـة وهـذا السـمو.. أجـول ببـصري في كل أنحـاء غرفتـي فأجـدك في كل زاويـة تتبتسم.. وحتى عندما تسرقني مشاغلي وتخبو الذاكرة.

أخبئـك بـين طيـات اللحظـات النـادرة التـي تـأتي ولا بـد أن تعـود وأجـدك تبعـثر الكلـمات.. تسـكب الحـبر برائحـة العطـر تضـع النقطـة في نهايـة الـكلام كل ليلة..تذيـل نهايـة الورقـة بأثـر طيـب لـك، تبصـم بـوردة حمـراء لا مرئيـة ثـم ترحـل.

(84)

تدحرجتْ الكلمات غامضة .. مبهمة .. خجولة احتوتْ حباً هائلاً .. ضخماً .. مخيفاً .. مرعباً .. أحدثتْ ضجيجاً صاخباً. قبل أن تستقيم وترتسم على هيئة سطر على الورقة .. أو تتشكل في مدى الفراغات على شكل أنّات مبهمة.

لا ندري هل تُقرأ الكلمات أم تُسمع .. أم تُحس حدساً خفياً.. أم تنساب من جرح القلب حتى النفس الأخير .. تدخل مع الشهيق وتخرج مع الزفير.

تدحرجتْ الكلمات محملة بعبق عطر يحس به .. يستنشقه زكياً يعبر جسداً يلتف الجسد حول نفسه ... يدور منتشياً.. يتأوه قبل أن تعلو ذرات العبق .. تتوه .. تتبدد في سماء قلقة.. عاشقة يتأوه الجسد .. يضطرب القلم بين الأنامل فتتوه الكلمات في براحها لا أبجدية مفهومة تحتويها.. تارة تُرفع .. تارة تُنصب .. تارة تخلع عنها نقاطها وترتسم دون النقطة تتعرى على السطر ..تتقافز ...تارة تنكسر ثم تستقيم كرسم غير خاضع لأي مقياس فني.

تحركتْ الكلمات حركة غير محسوبة انزلقتْ من سن القلم العاشق .. تبدد الحبر وجر خلفه حباً مجنوناً منفلتاً من كل القوانين تدحرجتْ الكلمات ..ضربتْ خطوطاً .. صنعتْ بصمة برسم أصبعك .. ذيلتْ بها النهايات .

نهاية الورقة.. نهاية الآهة.. نهاية النفس الأخير ..العبق الأخير من عطر ظل معلقاً في فراغ تائه وكانت بصمتك تحمل الرسم الأخير في الذاكرة .

obeikan.com

(85)

كانت كلماتي معلقة .. بين سن القلم والورقة.. وكنت كالمجنونة أبحث عن أبجدية هاربة من عالم مختلف لغة استثنائية .. لغة تملأ قلبي وتُشبع ذاكرتي النهمة..

كلمات قوية .. تنحني نكاية فيّ وتنهمر كغيمة ثم تنكسر عند قدميك وأنت أمامها شامخ كرمح.. ترضي غرور اشتياقي الكبير وهزائمي.. تصف هذا الفيض وهذا الحنين المنهمر كشلال إليك.. لغة أُحملك خلالها وزر لحظات هوسي وأسرار جنوني بك عبر مسارب تائهة من البوح اللذيذ .

أُحملك خلالها وهج الحرف وتألقه وسر سعادتي الكبيرة التي منحتها لي وببذخ دون أن تدري.. وأعرف أنك لا تدري أُحملك وزر دمعة فرح تنساب على خدي لمجرد وجودك وطناً في حياتي ودمعة حزن كبيرة وحارة لمجرد وجود حياتك بعيداً عن وطني عين تدمع بفرح وعين تبكي بحزن فبالله عليك كيف أتمكن من جمع شتات دمعاتي؟

(86)

أنــك في دمــي ترتســم.. تســكن ..تتشــكل.. تندمــج بــين ذرّات صفائحــه.. تعبــث بكراتــه..

وأتـرك لـك حريـة اشـتعال القلـب وحرائقـه ونـزف الكلـمات حريـة توهــج الأبجديــة وانكســارات القلــم.. وانســياب دمعــة عصيــة خلـف ابتسـامة.

منطفئـة اسـتلها كخنجـر مـن القلـب.. أتـرك لـك جنـون الذاكـرة ومــا أســطره عــلى بيــاض أتركــه بــين يديــك ..أعطيــك فرصــة انتعـال الريـح والتوغـل داخـل مسـامات الـروح ..وانتهـاك أزقتـي ودهاليــزي السريــة التــي اســتعصت عــلى الجميــع.

ألم تقــل لــك امــرأة مــن قبــل .. إنــك ترتســم في دمــيّ .. ســيد اللحظــات.

(87)

أقـرر الهجـرة.. يرمقنـي في غضـب .. وأختلـس النظـر إليـه في انكسـار.. يسـتنكر .. يعتـذر حبـك ويبقـى حينهـا أتأمـل حبـك طويـلاً .. شـيئاً فيـه لم اسـتطع مقاومتـه لأعلـن لـه.. سـتكون معـي في هجـرتي ولـن أتـوب عنـك.

وسـأركض خلفـك حافيـة القدمـين.. متدثـرة القلـب بـك .. دافئـة بحنينـي إليـك سـأغنى مـلء قلبـي بـك.. أغنيـة لـن تتوقـف سـأموت دونـك.. سـأهلك.. لأنـثرك .. لأدونـك ... لأكتبـك.

حكايـة أتلقفهـا مـن فـم درويـش .. عاشـق .. هائـم عـلى قارعـة الطرقـات.. لغـة هاربـة مـن مـدن أقـدم الحضـارات.. سـأثبت بـأن حبـك تاريخـاً يقـرأ مـن المهـد إلى اللحـد ..عندمـا ملئنـي حبـك قـررت الرحيـل.

هاجـرت إلى أبعـد نقطـة حنـين.. رعبـاً ورهبـة وعذابـاً .. أو ربمـا خوفـاً مـن أن أمـوت عشـقاً فيـك.. وهاجـر حبـك لأبعـد مـن أعـماق الـروح بمسـافات متوغلـة فيّ وأنسـحب حبـك معـي .. وظـل يتبعنـي ..يتفـرس وجهـي بعمـق وأتنفسـه بهـدوء.

صـورك تشـاكس خلـوتي .. صوتـك يـسرق غفـوتي.. عنـد حافـة نعـاس لذيـذ لجسـدي المنهـك.. وكلماتـك تترنـح خلفـي تتبعـثر وألتفـت لأجـدك تتبعنـي مـن بعيـد كحـارس أمـين وأنـا أسـير مغمضـة العينـين معـاً كنـا دراويـش نمـلأ الطرقـات .

obeikan.com

(88)

ما أحوجني إليك ..ما أحوجني .. إلى استعادتك ..رغم توغلك بمسافة قاسية بعيداً عني ..تحاول أقناع يقيني .. بأنك لم ترحل ..تلاطفني كطفل فقد حلواه باكياً .

ترشوني بالسؤال.. أبكي من وراء ابتسامة باهتة.. أضخم الابتسامة وأخفي الدموع تنقلب العبارة ..تخذلني الكلمات أتعثر بالكلام ..وأعلن لتطمئن أنا بخير وأرشوك بالدعاء لك في ظهر الغيب .

يتلبسني الجنون والتيه.. أرفع يدي إلى السماء ..يا رب لا تصدق يقيني.. أغفر له ما تقدم وما تأخر من ذنبه يا رب فليكن يقيني كاذباً .

(89)

أنـا امـرأة ممتلئـة بـك.. وبمسـاء مدينتـي الشـتوي.. وأنـين مصابيحهـا وهـي تحتـضر أخـر الليـل.. ونافـذتي المشرعـة عـلى عتبـات حبـك.. وحبـك المـشرع عـلى عتبـات الوطـن.

وقلبـي يترقـب.. بزوغـك.. ينتظـرك عنـد نهايـة المنعطـف والسـحابات البعيـدة في الأفـق تمـلآ الشـوارع بالأمطـار.. القلـب ينتظـرك ليحتضـن كلماتـك مـن وراء البحـار ..ويقـرأ ملامحـك مـن وراء الغيـوم .

وأنـت يـا سـيد اللحظـات طفـل .. يلهـو بقلمـه.. يعبـث .. يلهـو ثـم يبتسـم في منعطفـات أزقـة الذاكـرة.. يرشـق الـروح بالضحكات يمـلأ القلـب بالصخـب.. يلهـو بزخـات المطـر و بخـط يديـه المتعرج يرسم على الجدار.. أسم الوطن.

(90)

كل الأماكن كتبتُ فيها أسمك..

على جدران شوارع مدينتي ...سيد اللحظات

وفوق ملامح أهلها الطيبة

تركتك ترحل معي بين الأزقة الضيقة

وعلى صفحة الماء أيضاً ، أبحرتْ شراعاتي التي أصنعها من أوراق دفاتري المدرسية .. كل الأشرعة تحمل نقش أسمك .. بخطي المتعرج .. تركتها ترحل على صفحة الماء وتوسدتُ شط الحنين إليك ونمت.

(91)

أحبك عند حافة العقل وبداية الجنون سيد اللحظات وأنت تسري كما الدم في عروقي وفي ذاكرتي وروحي بقوتك .. وقوة حبك وأسراره .

كان حبك يفوق طاقتي فتلوذ دمعتي فراراً .. وألوذ أنكفئ على كلماتك وصورك وصوتك حتى النفس الأخير وحتى أخر ثانية وأخر شوق وأخر دمعة في العمر وأخر كلمات كتبتها بين يديك في غفلة من غربة طويلة وقاسية خلفتْ ندوباً كثيرة في القلب و الذاكرة وشرخاً عميقاً في الروح.

وكانت غفلتك تفوق قدرتي.. فيسقط كبريائي.. ويستجديك الحب عارياً من كل شيء .. يأتيك الحب طفلاً بريئاً دون أغطية ولا زيف.. لا أصباغ ولا أقنعة يأتيك حبي عارياً كما خلقه الله.

لكنك تتجاهل عمداً ..ولا تهتم إلا بوطنك .. متناسياً أن الوطن يحمل بعضاً من ملامح حبي لك وبعضاً من كلماتك .. أنفاسك .. هموم غربتك ..وعطر أشعارك .

(92)

اتكئي على إطار لوحة أحلامي .هذا المساء لألتقي بك حلماً غالياً صعب المنال..تهرب الفرشاة .. لتعبث باللون.

يكبر الحلم فوق استطاعة اللون.. يتطاول الحلم .. يتململ اللون .

يبهت ..ينكسر الإطار .. تتناثر اللوحة إلى قطع تتبعثر في الهواء يتبدد الدمع غزيراً يمتزج باللون الهارب.. يسفح .. يملآ الأرجاء حنيناً.

يستحيل الحلم .. يكبر الأنين ينتصب الحزن بقامة فارهة .. يمرح الحزن بيننا أنا وأنت والحلم المتناثر لم تعد أناملي قادرة على رتق أي شيء.. ولا استعادة الفرشاة.

أمضي ..أرحل خارج الحلم المتناثر والممزق إلى أشلاء.. أمضي يدي تحتضن قلبي.. وقلبي ينقبض وينكفئ على حبك المستحيل ..وخلفي الحلم شبح يطوف الأرجاء يتسكع بوجه باهت اللون ثم يتسلل مغادرا .. اللوحة المتناثرة بارتياب ويعز اللقاء .

(93)

يتجه صوب جهاز الحاسوب ... يضغط زر التشغيل .. يلقي بتحية خاصة إلى الجهاز المعجزة .. وذلك بعد أن يكبس بالأصابع الثلاث على مفاتيح خاصة ، يئز الجهاز الرائع بصوته المألوف رداً على تحية المبرمج وبمهارة فائقة ودقة متناهية يبدأ المشغل في تغذيته بالبيانات التي كانت تملأ ورقة ما بجانبه ، يكبس مفتاح أعلى لوحة المفاتيح ، يغمض عينيه ثم يفتحهما فيما يشرع الجهاز في إصدار رسالة تؤكد للمبرمج بأن خطته التي رسمها على الورق تعطي نتائج مذهلة.

ثم رسالة أخرى هي عبارة عن تحية خاصة للعبقرية الفذة التي يتمتع بها المبرمج مصحوبة بنغمات رائعة لقطع موسيقية عالمية مشهورة .. أخذ المبرمج يرقص عليها طرباً ويدور مع النغمات الصادرة من الجهاز ، وبحركة آلية خالية من أي شعور يؤدي تحية عسكرية إلى جهاز الحاسوب ويخرج.

وفي مكان ما من الحديقة ، تقترب الضحية المسكينة من الشرك المنصوب لها فتخرج العنكبوت الشرس متحفزاً لاقتناص فريستها التي تسقط أخيراً ، تأخذ العنكبوت في الرقص والدوران حول الفريسة .. تصحو الشمس .. تبحث عن قلمها الأرجواني لتلون الدنيا فتجده مكسوراً .. تثور العاصفة غضباً وتهب رياح عنيفة تحاول اقتلاع أشجار الورد.

(94)

لا تحمل السماء أي بشارة ، أما الأرض فرمال صفراء تحترق وكثبان تبدو الصخور فيها وكأنها أشباح غيلان ، ثمة أعشاب شاحبة شوكية الملمس .. جافة .. صلبة تنتشر على امتداد البصر وبين السماء والأرض نفس عطشى للارتواء وسراب.

تطابق يوم ميلاده وحلول موسم الجفاف ، صلى أهل قريته صلاة الاستسقاء وقبل السلام الأخير للصلاة.. ولد .. انتظروا قدوم البشارة لكن الجفاف تطاول ..طغى وأستبد .. هيمن.. سكن القرية زمناً طويلاً قرر الرحيل .. حمل جفاف أيامه ومضى..

الطريق خلفه مرصوفة بالأوراق الصفراء الذابلة وأشواك "العوسج " وكأنها لعّنات أهل قريته تطارده .. الصحراء تمتد أمامه مترامية الأطراف شاسعة .. لا متناهية .. وبطرف قميصه المهترئ يمسح حبات العرق المتصبب في غزارة فوق جبينه ثم يواصل المسير .. يتذكر جفاف قريته .. يرتعش .. تدمع عيناه.. يقرر سيبحث لهم عن الماء.. أجل سيبحث حتى يجده ..

وعندها سيعود إلى قريته مبشراً ورسولاً للماء.

يدفن رأسه بين يديه ويبكي ..هاهو الجفاف يحاصره في كل مكان وليس ثمة قطرة ماء واحدة!!

ينظر خلفه .. أمامه سراب وخلفه خطواته ترسم علاماتها المرتعشة على الرمال الصفـــراء تروي قصة البحث.

سكون الصحراء يزيد من عذابه ويضاعف من شعوره بالوحدة لكنه يواصل رسم خطواته على الرمال وتتجسد مأساته شجرة صبار ضخمة عجيبة التكوين.

يستنجد بالسماء لكن الشمس ترشقه بوابل من سهامها الحارقة .. تتهدل شفتاه ..يزوغ بصره .. تتداخل المرئيات أمامه .. تتباطأ خطواته يدور عدة دورات حول نفسه.. ومنهوك الجسد خائر القوى يسقط.

تُمحى أثار أقدامه بأوامر صارمة من عاصفة هوجاء تثور.

لكن ثمة علامات يتركها خلفه على الرمال تروي قصة عطشه للارتواء وهناك حيث قريته البعيدة يكفهر وجه السماء ويتلبد بالغيوم حزناً يتفجر بشارة وتهطل الأمطار غزيرة .

(95)

لأني أحبك.. أستحيل إلى لغة ... حكاية .. أسطورة ... هاربة من زمن غائب غابر يمتد من قبل الميلاد إلى مالا نهاية..

همزة في بداية سطر .. تبوح .. تهمس .. و لا تهدأ ولا تستكين ذرة هائمة في فراغ لا متناهي.. نقطة تعطي للحرف معنى.

لأني أحبك أتحول إلى موجة .. نسمة ..همسة .. ريشة .. قطرة ماء ..عطر تغتسل به الكلمات .. ورقة تعصف بها رياح الحنين لون .. حفنة من نور هارب ينوس بطيئاً يطل منكسراً من نافذة عاشقة نصف مفتوحة ثم ينتشر في الفراغ غير المتناهي وأنكسر أمامك .. أنهزم .. أذل وأشعر بدمعة ساخنة تتكسر في عيني ثم تنساب بيسر واعترف وأنا أرتد وأنسحب ماذا تساوي الدنيا بدونك؟

جننت سيد اللحظات بدونك لا معنى لأي شيء .

(96)

ضحكاتي تحترق لها طعم مثل طعم الرماد في فمي أبصقها قبل أن تصل إلى قلبي .. ولها رنة كاذبة كرجع الصدى في وادٍ خالٍ إلا من فحيح أفعى تحتضر ، أعرف كم سيكلفني ثمن هذه الضحكة الطافية كالفلين على سطح الماء .. صديقاتي من حولي كثيرات يتجاذبن أطراف الحديث الهامس وأنا بينهن لا يربطني بجلستهن سوى خيط واهن كخيط العنكبوت المتدلي من سقف ردهة البيت المتشقق. تصورت نفسي في انسجام كامل معهن ، وألقيتُ بأوامر صارمة إلى وجداني بالمشاركة والاندماج .. بدأتُ أهز رأسي .. أنفعل .. أبتسم ..أبكي .. أهمس .. وأصرخ ..وأنصت .. لكنني أجد نفسي كالمتفرج على صورة بلا صوت ... أحاول أن أركب الصورة التي أمامي على أي صوت أستحضره في الذاكرة ، لكن دون جدوى ووجدت نفسي أضطرب .. أضحك في موقف الحزن .. وأبكي في فضاءات شاسعة من الفرح فألوذ فراراً إلى الانزواء في ركن قصي أطالب بالمشاركة .. أجد نفسي في ورطة أعود إلى تمارين الإيحاء

الـذاتي .. أتخيـل نفـسي أخـوض حديثـاً شـيقاً وممتعـاً وأتخيـل صديقـاتي يضحكـن طربـاً ويندمجـن في الحديـث معـي وأضحـك سـاخرة مـن نفـسي ، أفشـل في قيـادة دفـة الحديـث وأعـود إلى لعبـة تركيـب الصـوت عـلى الصـورة والانـزواء .. فجـأة أجـد نفـسي وحيـدة ، تنفـرط حلقـة صديقـاتي وأكتشـف بأنني أقـف في باحـة معـرض كبـير لنحـات ناشـئ تحيـط بي تماثيـل النسـاء في كل مـكان .. تمتـد يـدي وبسـبابة مرتعشـة أحـاول إزالـة الغبـار المتراكـم عـلى المجسـم الصغـير والمقلـد لتمثـال ربّـات الحسـن الثـلاث وأخـرج في هـدوء .

(97)

حـربي خـاسرة يـا سـيد اللحظـات .. انتـكاس .. انكسـار .. رجـوع تقهقـر وتكـوص إلى الخلـف حيـث أقـف .. أحمـل سـلاحي في يـدي وفي قلبـي أحمـل ألـف هزيمـة ..وجـرح غائـر ينـكأ في كل ثانيـة ألـف مـرة منفيـة عـلى حافـة شـاطئ موحـش أتوسـد الغيـاب .. كان شـاطئك بعيـد ومهجـور .

لا أملـك التصـدي .. لا أملـك الاحتجـاج ولا أملـك حـق التسـليم لا أملـك سـوى الوقـوف عـلى مسـارب أبجديـة الانتظـار .. وأنـين الحـروف المقتولـة بسـهام الهجـر .. والكلـمات المقتولـة هنـاك .. في الغربـة حيـث الضبـاب .. والفواصـل والنقـاط المصلوبـة في بـلاد الفرنجـة سُـحقت كلـماتي تحـت ظـلال سـيوف الكفـار يـا سـيد اللحظـات .. هنـاك في بلادهـم حيـث حبـي لـك كفـر .. واشـتياقي جريمـة حـرب .. وحنينـي خيانـة وأنـت زعيمهـم الـذي يمدهـم بالأسـلحة والبـارود والسـيوف سُـحقت مقاومتـي تحـت سـنابك خيـول الحنـين .. صـادرت جيوشـك كل ممتلـكاتي ، صـادرت شـوقي أنينـي ..جنـوني وأوراقـي التـي أكتبهـا في سريـة تامـة إليـك.

اعتقلت سجونك لحظات عمري .. لحظة ... لحظة وثانية..ثانية اعتقلت العمر بأكمله وتفننتْ محاكم التفتيش في أساليب تعذيب ذاكرتي المسكينة .

انتشرت عساكر جيوشك وسيطرت على مسارب ذاكرتي وتسللت إلى روحي.. واقتحمت القلب انتهكته بقوة و دون رحمة ..

وأنا أقف .. أتهاوى ... ثم أقف .. على مشارف المدى.. وحواف أبجدية الانتظار لأعلن الردة

الردة يا سيد اللحظات .. الردة وفي القلب احتراق .. أعلن الردة عن حبك ألف مرة .. أقف .. ألتقط أنفاسي .. أتنفس بصعوبة.. أقف من جديد لأعلن الدخول في حبك مليون مرة مضاعفة وطواعية ودون مقاومة ألهث لأدفع ضرائبي .. تحترق أناملي بنار الكلمات الصادرة من قلبي المتعب وأدفع بها ضريبة غالية وباهظة من الروح وأخضع لإتاوة قد تخفف من هذا العذاب ..ولكن هيهات حربي خاسرة يا سيد اللحظات.

(98)

ويبقى في الحلم شيء صعب لا أستطيع مقاومته ..

كأنه أنت

وأعلن عبر أثير حلمي الرائع ونوافذه المشرعة .. ذات ليلة ربيعية جميلة.

بأن .. كلماتك هي أجمل شيء بعد كلام الله وأحاديث الرسول و تتفوق حتى على أساطير الأولين .

obeikan.com

(99)

ذات جمعة أرسلت لك رسالة.. كنت أشتهى سرقتك.. كتبت دعاء حار.. آيات من سورة الكهف .

حرائقي وأشواقي.. حنيني ..كلماتي.. انكساري ..جدول المدرسة حلوى العيد ..دواة الحبر الفارغة وأقلامي.. كراستي الوردية.. خواطري السرية ..قارورة عطري ..فنجان قهوتي المسكوب.

و اشتقت إليك كثيراً.. أحبك.. وكل عبارات العشق.

كان وجهك يشغلني طوال الليلة الماضية.. ذيلت الرسالة بتوقيعي حرصتُ على مزج حبري بالعطر.. كتبت خلف الرسالة إلى سيد اللحظات.

وضعت رسالتي داخل مظروف ثلجي بارد بلون الغربة ونمت في الصباح وجدت المظروف فارغاً .

(100)

انطفـأتْ شـوارع مدينتـي هـذا المسـاء باكـراً سـيد اللحظـات.. وانطفـأتْ نافـذتي.. انغلقـتْ عـلى خلـوتي .. عزلتـي ..كآبتـي لا شريـك ولا أنيـس اختفـتْ النجـوم خلـف غيـوم سـوداء.

لم يبـق إلا أنـا وحبـك ومصابيـح المدينـة أنتفـض الشـوق مجنونـا قهقـه الحـزن عاليـاً عربـد الحنـين .. وأنـا سـاهرة أتسـول قبـس مـن نـور.. تائـه يـأتي منـك ينعكـس عـلى السـطح ويسـكن مرايـا الـروح والقلـب والذاكـرة ..أسـكب حنينـي عـلى الـورق واسـكب قهـوتي .. وأمـزج بعضـاً مـن ذاتي والحـبر وعندمـا أحسسـت تلعثمي وتعـثري وعجـزي في توصيـل حنينـي المجنـون إلي.

سـحبت غطـائي.. حاولـت أن أغمـض عينـاي عـلى صورتـك التـي أدسـها تحـت وسـادتي وفي القلـب.. كنـتُ أرتعـش بـرداً وشـوقاً وحبـاً.

لكنـك ظللـت تشاكسـني بـين الإغفـاءة والإغفـاءة ولم أنـم إلا عندمـا اشـتعلتْ الشـوارع ..وصرخـتْ الطرقـات بالأنـين والضجيـج وبدأتْ تغفو مصابيح المدينة .

(101)

شاسعة تلك المسافة التي تفصلني عنك.. واسعة.. مترامية الأطراف.. بيننا جبال.. بحار ..محطات..موانئ.. مرافئ.. مطارات ومدن لكنها تظل مسافة في المكان .. عندما يتلبسني العشق وأتسلق حائط الجنون ..سيد اللحظات ويحرقني أتون أسمه الحنين تضيع تلك المسافة وتصبح في حساباتي لا قيمة لها.

أشتهي أن أسرقك من عالمك .. ناسك .. غربتك.. وألوذ فراراً.. أركض بك عبر أفق لا حدود له.. ومسافة لا نهاية لها ..ولا أدري لماذا عندما كنت أتحدث عنك يفوح أريج الورد حاراً في حديقة منزلنا.

كانت صورتك تملآ وحدتي ..وعودتك أملاً يكسر حدة حنيني. ويهون عليا كل شيء بشيء يصعب تفسيره أنه اليقين .. يقيني بالله وبالوطن وبك.

(102)

ترقـب مؤخـرة قلمـي الرصـاص مـا أخطـه في دفـتر خواطـري..
تبتسـم المؤخـرة في خبـث وتتهيـأ لفعـل شيء مـا .
تشاكسـني الفكـرة.. تسـتعصي.. تتمـرد عـلى مفـرداتي ..القلـم تنتفـخ أوداجـه ويخطـو بخيـلاء عـلى الورقـة.
يرسـم سـطراً مـن الكلـمات المتمـردة .. تقهقـه مؤخرتـه وتتهيـأ للعبـث بالسـطر .. تقـترب تهمـس سـأفصل النقـاط عـن الحـروف أما الحرف الذي لا نقاط له سأزينه ببعض النقاط.
حالـة مـن الجنـون والعبـث تتلبـس مؤخـرة القلـم .. وحالـة مـن الارتيـاح والـرضى واللامبـالاة تتلبسـني تتنهـد سـلة المهمـلات المركونـة في مـكان قـصي مـن غرفتـي لتعلـن عـن وجودهـا أبتسـم أنـا والقلـم لإغاظـة مؤخرتـه.. أنـزع الورقـة التي شـوهت سـطورها المؤخـرة الخبيثـة.. أرميهـا في سـلة المهمـلات التـي تتلقفهـا.
أنـزع المؤخـرة مـن قلمـي .. يبـدو مشـوهاً .. أرميهـا دون رحمـة أقـول لا أحـد يجـرؤ عـلى العبـث بمخـارج حـروفي يبتسـم القلـم ويسـتقيم ..ويخطـو بكبريـاء عـلى صفحـة الورقة..يرسـم سـطوره دون خـوف تتنهـد سـلة المهمـلات في الزاويـة .. أتـرك قلمـي يخـط كلماتـه أربـت بحنـان ولطـف عـلى رأس سـلة المهمـلات وأبـدأ في احتسـاء قهـوتي في ارتيـاح.

(103)

أنـا امـرأة أحمـل شـوقاً يثـور كعاصفـة هوجـاء.. محمومـاً.. مجنوناً معربـداً يكتسـح كل شيء ولا يرحـم .
أنـا امــرأة أشــبه بكتــاب يعيــش دهــراً.. بألــف عنــوان وألــف حكايـة وأسـطورة أنـا امـرأة.. أنـا حمـماً ..عواصـف .. أنـا براكـين أتنفس الرياح شهيقاً وأثيرها عشقاً في الزفير.
أنفـث الحنـين والحـب نـاراً حاميـة الوطيـس ..أمـلأ الشـوارع حبـاً رعبـاً قلقـاً .
أعيــش قبــل الميــلاد ..وفي الميــلاد.. وبعــد الميــلاد ..أنهــض في كل العصــور وأمتــد عــبر الســنين.
أفـترش الزمـن .. أمتطـي سـاعاته .. ألعـق دقائقـه وأشـتهي حتـى أجـزاء مـن ثوانيـه.
أملأ الدنيا حنينا عاصفاً..لا يهدأ ولا يرحم ولا يستكين .

(104)

إن بقى في العمر متسع

لأقول وداعاً

ولأتأكد من أن لاشيء في القلب يخيفني منك

لا تقسو

لا تتجاهل

لا تطعن اللحظة التي سرقناها من الزمن خطأ

ودعني أرحل عنك أحمل في صدري شعاعاً صغيراً ينوس منك

أعيشه أملاً .. إن بقى في العمر متسع.

obeikan.com

(105)

لمستُ شغاف قلوب العشاق بسن قلمي فتأوه القلم لمستُ حبك بسن قلمي فتأوهتْ قلوب كل عشاق الدنيا وفاض الحبر بوحاً.. وفاضت الدنيا يا سيد اللحظات ما البوح إن لم يكن جنوناَ وعربدة وطيشاً في حضرتك!

يا لربك من أين يأتيك كل هذا الجمال.. وكيف ارتديت كل هذا السحر .. ومن أين يأتيك هذا الألق الجميل الذي يمتص كل البهاء ويلون الدنيا بشتى الألوان؟

وأنا كما أنا مازلتُ قلب عاشق مُلقى منسي كأسمال بالية على قارعة الانتظار تأتي أولا تأتي.. تشفق أو لا تعطف.. كل محاولاتي تذهب أدراج الرياح.. في استدراج أثر منك وأنا كما أنا مازلتُ مصرة على حقي فيك.. تباً لهذا القلب المتوسل.. ولهذه اليد المرفوعة تتلقف بعضاَ.

من محبتك .. وتباً لهذا الخواء الفاجع منك وتباً لهذا الناي الذي ينزف ألحانه الحزينة في هذا الخلاء المقفر يئن ..يتوجع.. يحاول اصطياد نغماته الهاربة.. عندما يركبه الحنين ويستبد به الشوق إليك.. وتأسره حالات الجنون.. لا يستقيم اللحن ولا يستكين وأنا كما أنا أحاول إيقاف الليالي الباردة الخالية من دفءيسري منك.

(106)

سيد اللحظات

ستكون أحرفي كما أشتهيها .. مغسولة بالحب .. ندية ومعجونة بماء القلب .. ممتلئة بجنون امرأة عاشقة .تغمض عينيها وتتوكل على حنينها .. تتكئ على جنونها وتتسلق كلماتها لتصل إليك.

obeikan.com

(107)

عصفت بي الأشواق .. لوحت بي قذفتني من نعيم كنتُ أتلذذ به.. طردتني خالية الوفاض خالية الوفاض إلا من دمعة يا سيد اللحظات .. أُخرِجت بقسوة وعنف ... ساعة سقوطي أول أرض وطئتها أقدامي هي أوراق بيضاء بلون الثلج سرت بحذر ..في القلب جذوة نار.

تتقد.. وفي الصدر دمعة تختفي وعلى طرف اللسان صرخة تحتضر.. وضعتُ رجلي على حافة بحر أزرق ونهلتُ من زرقة الحبر كما لم أنهل من قبل ثم نشرت أوراقي مبتلة يغمرها.

ألق أزرق ويغمرني شوق حارق وكنتُ أعتقد أنك هناك تقف تنتظرني على الحافة الأخرى لتمسح دمعتي .. وتنقذني من الغرق في أبجديتي الملتوية وحبري المنسكب بعشوائية فوق أوراقي وأشواقي الحارقة .

لكنك غرقت في تأملي عن بعد ..وفي مشاغلك .. ومتطلباتك الحياتية .. وهموم الوطن تغافلت عني وكان سقوطي مميتاً يا سيد اللحظات.

(108)

أنـا هنـا يـا سـيد اللحظـات تائهـة أسـتجدي حكـم الشـعوب القديمـة.. واللغـات الضائعـة بـين دفتـي كتـب التاريـخ والأبجديات العتيقـة ..أتلـذذ برائحـة الحـب في الكلـمات القديمة..أتلـذذ بتقليـب المأثـورات والأقـوال البدائيـة العاشـقة .. أزرع نظـراتي بـين الحروف ..أكتشف حقائق مذهلة.

أسـجل كلـماتي ..أدون نصـوصي إليـك بعصبيـة .. وأخـاف هـروب لحظـاتي الجميلـة قبـل أن أقبـض عليهـا وتثبيتهـا فـوق صفحـاتي البيضـاء التـي تسـتغيث حبـاً وعشـقاً وتيـه وجنونـاً وشراهـة لكلـماتي.

أسـير هائمـة إليـك أعتـلي حافـة حـروفي هائمـة أسـبح في فضـاءات شاسـعة لكتابـة أشـواقي ورغبـاتي.. أحـزاني وهمومـي.. أقيـم الدنيـا ولا أقعدهـا مـن أجـل اصطيـاد كلمـة حـب أخطهـا لـك لكنـك رجـلاً يتربـص بي .. يختبـئ بـين الهمـزات ..ويمتلـئ غـروراً ..يلتحف بـدفء عشـقي و ينهـض متمسـحاً بجـدران أوردتي ..يخطو .يتسـلى برسـم بصمتـه عـلى حائطـي في القلـب .ويرقـص طربـاً عـلى امتداد مسامات ذاكرتي وينام فجراً على حواف صفحاتي.

(109)

ممتلئة بما في قلبي يا سيد اللحظات.. ممتلئة بما في قلبي حباً يحمل جنون كل البشر .. وعبثهم.. وحكاية طويلة مثقلة بخطايا الحب ..بالآثام.. بالحنين.. وممتلئة حتى التخمة باللحظات العميقة معك يا لغبائي.. كيف جعلت هذه اللحظات تفلت من يدي دون عقاب؟

ممتلئة بما في قلبي حباً لا يقاس بمقاسك ولا موازينك.. فهو أكبر من مداركك ومداركي أكبر من فهمي وموازيني ومقاساتي وأكبر من استيعابي وفهم كل البشر . أحبك .. سألغي هذه الكلمة .. سأحذفها .. ولن أتلفظ بها لا أمامك ولا أمام نفسي فهي ناقصة.

عاجزة ..لا تستوعب نداءات قلبي ولا أبعاد جنوني ممتلئة بهذا الحب الذي يقودني نحو طريق لا أعرف له اتجاه تباً لك ..كبرياؤك لا يعنيني.. إهمالك لا يهمني ولا مبالاتك لا تهز مشاعري وأحاسيسي.. فأنا صادقتُ على شهادة وفاتك بتاريخ ما قبل ميلادي وذيلتُ صفحات حياتي بحبك صفحة صفحة حتى أخر يوم بتاريخ مماتي.. لتدرك أن الحب شعور كتب منذ زمن بعيد فوق دفاتري وأوراقي بحبر لا علاقة له إلابالروح .

(110)

حـروف نحسـها.. ننصهـر أمامهـا.. نـذوي.. نـذوب.. ننسـاب ولا نلمسـها ..ألا تـدرك يـا سـيدي ..معنـى أن يمسـك الحـرف الوهـاج بشـهابه وتسـقط صريـع نـيران " الحاقـة " ..تـأكل فيـك الأخـضر واليابـس.. تـأتي عـلى كل شيء فتحـترق ولا مـن مغيـث ...تتـألم مريضـاً بهـا ولا تنبـس ببنـت شـفة.

تنـام طريـح الفـراش .. تتلـوى حبـاً لأمـد لا يعلمـه إلا اللـه.. ألا تحـس معـي روعـة أن يمـلأ قلبـك حـرفي "طـه .. "مـا أَنزَلْنَـا عَلَيْـكَ الْقُـرْآنَ لِتَشْـقَى؟ أن تنتـشي لمـرورك أمـام كلمـة.

أن يقتلـك حـرف "ن والقلـم ومـا يسـطرون " أن تهـزك مـن الأعـماق عبـارة. أن تكـون مسـكوناً مجنونـاً مهووسـاً بأبجديـة. حكايـة "أل عمـران "ترويهـا ثـم تنـام طويـلاً .. أن تلتهـم بقلمـك بيـاض الأوراق ..وتتراقـص أناملـك عـلى الأزرار ... وتـأكل بـصرك الكلـمات أن يسـجنك ليـل شـتائي طويـل في رفقـة "البقـرة".. خلفـك نافـذة وأمامـك شـمعة وتحـاصرك قهوتـك ترتشـفك وأنـت..

الغريب الوحيد في هذا الليل الذي يسكب قهوته وحبره ودمعه وآثامه ويسكب ذاته ويحشرها في حرف ثم لا ينام ... لا يأكل ولا يشرب لا يهدأ ولا يرتاح.

أن تكون جسداً حاضراً غائب الروح .. تعي ولا تسمع ..تتكلم ولا تنطق تتبصر.. ولا.. ترى .. ألا تحس معي روعة أن تكون وأن لا تكون وأنت خاشع تصلي في محراب "مريم والواقعة".. ألا تصرعك "الرحمن" يا سيدي؟.

opeikan.com

(111)

أجلس حزينة حد المرارة ... وحيدة تعصف بي المشاعر المتضاربة يا سيد اللحظات .. الكلمات تئن تحت سن قلمي.. وترتمي في أحضان الورقة .. تشي بالآلام الدفينة.... والأسرار الحزينة.

الكلمات تئن والأحرف تصرخ وأنا كما أنا أتجرع قهوتي بمرارة بلا سكر مسكينة كلماتي ..تخرج مجروحة ..تنزف .. تسقط على الورقة ضائعة بلا معنى.. حبرها يختلط بدمعتي التي تسقطرغماً عني .. يشحب وجه الورقة .. يتعفر بالحبر وبالدموع ..تغضب ..تتمزق .. تعتلي ريح عاتية تهب من نافذة غرفتي تعانق الورقة الريح وترحل حاملة معها أنيني وأدمعي وكلماتي المجروحة .

تباً لي.. لماذا أنسى نافذة غرفتي مفتوحة دائماً.. لماذا أنسى أن كل الكلمات التي أسجنها داخل دفاتري.. تتخلى عني.. تغافلني ساعة حزني يا سيدي وترحل إليك؟.

(112)

أأغـادر بيتـي كل صبـاح متوجـة إليـك؟ وكأني عـلى موعـد دائـم معـك .. أتمنـى أن يُختـصر الوقت وتنسـاب الثـواني والدقائق بسرعة لألتقـي بـك .. منـذ الصبـاح وأنـا أتهيـأ لهـذا اللقـاء بمـا أوتيـت مـن أناقـة.. تعلـو وجهـي مسـحة غريبـة عـلى غـير عـادتي.. ولكنهـا مسـحة محببـة إلى النفـس.. تختلـط فيهـا مشـاعر شـتى لعشـق حرصـت أن يبقـى مـن ضمـن مناشـيري السريـة .. أردد بينـي وبـين نفـسي في كل لحظـة " أحبـك " وكأن هـذه الكلمـة تعويـذة سـاحرة تقينـي مـن كل شر ..ألتفـت ذعـراً وخوفا من أن تفلـت هذه الكلمة منـي جهـراً أو أن يكتشـف أحد علامات حبك المرسـومة على وجهي بحـبر حرصـت قـدر الإمكان عـلى أن يكون حبراً سريـاً يحلو لعلامات الحـب أن تفضحنـا أحيانـا فجـأة وعـلى غـير موعد بربك قـل لي ماذا أفعـل بحبـك المخبـأ في خزائـن تمتلـئ بهـا روحـي وأوراقـي الملونـة المعطرة وأدراج مكتبي ؟

(113)

حينما يأتي ذكرك

تفيض محبرتي شوقاً ... تفيض حنيناً .. تفيض طهراً

حينما يأتي ذكرك يتنزه السمع والبصر والكلام

ويتطهر المكان بالعطر

أغسل حروفي بماء الورد

وأعتق كلماتي بنثار المسك

عطر معجون بأرق المحبين.. ومسك ممزوج بعذاب العاشقين

يا ربك فأعلم أن الحب المستحيل هو الذي يترك بصماته

وشماً غائراً في القلب.

obeikan.com

(114)

بمـداد المـاس أعلـن عـلى المـلأ.. حبـي يـزن أحلامـي.. وأحلامـي تزنـك.. أكتبـك حبـاً بمـادة تقـترب كثـيرا مـن شـفافية دمعـة صادقة وتبتعـد قليـلا عـن نقـاء البلـور...

أنـت في كفـة والعـالم في أخـرى .. بمـداد المـاس أكتبـك عـلى المـلأ.. أتنفسـك عـلى الملأ..وأقولـك عـلى المـلأ ..وأرغبـك عـلى المـلأ.

كـم اشـتقت إلى لحظـات هاربـة معـك لا تعـود وبمـداد المـاس أُسـقط في يـدي..

لطالمـا هتفـتُ بالتيـاع أقـرأ نصـاً يمـلأ عمـري وكل أيامـي حبـي.. شـوقي ..انهيـاراتي والأمـي و لطالمـا سـقطتْ صرختـي صريعـة في حلقـي وبمـداد المـاس أذيـل نهايـة العـالم خاتمـة لأحلامـي.

(115)

هـا نـذي اسـترد كل أمسـياتي المسـكونة بـك يـا سـيد اللحظـات.. امـرأة بألـف امـرأة وأُطمئنـك بأننـي مازلـتُ عـلى قيـد الحيـاة أتنفـس بامتـلاء حبـك.دون ارتواء..ولازالـتْ كلـماتي تسـتيقظ بلمسـة حـب منـي وأحـرفي .

تنبـض بهمسـة عشـق وأشـيائي الجامـدة تسـيل منهـا حيـاة دائمـة فأنـا خُلقـت لـذر الكلـمات في العيـون التـي ترمـق صفحـات دفاتـري العاشـقة كل مسـاء.. وتسـتيقظ عـلى أبجديـة حنينـي كل صبـاح ..عيـون تلتهـم حبـي المنتـشر عـلى مـدى أفـق لا حـدود لـه.. وتشـتهي أن تكتحـل بجنـوني المبعـثر عـلى مـدى مسـافات شاسـعة لا نهايـة لهـا.. وأنـا أقـف حائـرة عـلى حافـة ألـف فقـد همزتـه وأركـع لنهايـة تـاء مربوطـة مسـلوبة..أقف منسـية منـك.. منفيـة خـارج حـدودي.. صحـراء خاليـة بـلا مـأوى ..لا أمـن ولا أمـان اللعنـة عـلى تـاء التأنيـث المربوطـة .. أقـول ..جـرتْ خلفـي ألـف لعنـة ..وجردتنـي مـن كل شيء ألاه ... لا يؤنـس صحـرائي إلا الغيـاب ولا يهمـس لي إلا الصمـت ولا يجالسـني إلا الحنـين حبـك

وحـده بقـى مخلصـاً وفيـاً صامـداً خـارج الحـدود معـي.
يسـكن ذاكـرتي يسـامرني.. يؤنـس وحدتي..يجالسـني.. يقـص عـلي حكايـات ألـف ليلـة وليلـة .. يشـعل نـار الوجـد بـين شراييني.. يحتضنني في ليـالي الشـتاء الطويلـة وينـام معي..أنام عـلى الذكرى وأغفـو بامتـلاء حبـك ثـم أصحـو أرتعـش بانتشـاء كورقـة ضائعـة في مهـب ريـح عاتيـة يـا سـيد اللحظـات.. أرتعـش دون ارتـواء.
أتـدري؟ أعـرف أنـك لا تـدري بأننـي كنـتُ أنـام وفي النفـس خيبـة بـلا تفسـير وفي القلـب غصـة وعـلى طـرف اللسـان صرخـة تنطلـق بـلا تأويـل ..و كنـتَ تتعمـد الغفلـة لتنـام مرتاحـاً نافضـاً جـراب ذاكرتـك منـي غافـلاً عـن كل شيء يـا سـيد اللحظـات غافـلاً عـن حبـك وعنـي وعـن أبجديتـي النائحـة و ليـالي الشـتاء الطويلـة البـاردة في صحـراء خاليـة نائيـة بـلا تخـوم.
أمضيـت عامـا في صحـرائي أتطلـع إلى حبـك مـن بعيـد.. وعامـين أتهجـى حروفـه وأفـك أبجديتـه وطلاسـمه.. وثـلاث أعـوام أقـرأ كلماتـه ..ومـضى العمـر كلـه راكعـة في محرابـه .. وأنـت كـما أنـت غافـلاً عنـي.

(116)

ممزقة أنا بين ثلاث لحظات

أحاول قياس الدهشة.. وحالة الجنون.. والهذيان التي

تنتابني...

لحظة هاربة لا تطاوعني فتفلت برعونة وطيش .. وأخرى

تنسل في هدوء يغضبني .. وثالثة لا تأتي.

فلماذا يهرب الزمن بهذه السرعة وأنت معي ؟

وما سر انسياب الثواني لحظة الحلم...

ولماذا لا يأتي زمن أحتوي خلاله حبك المستحيل .. أشم رائحته..

وأقيسه بوحدة دقاتقلبي

وأسجل لونه ... وسر مذاقه ., طوله .. ارتفاعه .. وسمكه ..لماذا؟

(117)

يـا سـيد اللحظـات لملـم أحـرفي .. أحتضـن كلـماتي .. أمسـح حـيرتي.. جـردني مـن عـذابي .. حتـى تسـمعني كل نسـاء الدنيـا وتـأتي لنجـدتي .. سـهام الحنـين اخترقـتْ جسـدي مزقتنـي .. حـراب الشـوق انغرسـتْ في عمـق قلبـي.

أقسـم بـك حبـاً .. أقسـم بـك تيهـاً .. أقسـم بـك ولهـاً مـا غـادرت زفـيري يقينـاً يـا سـيد اللحظـات لا ولا رحلت عـن شـهيقي .. وكنت كل مـا يمـلأ أوردتي وكل مـا يشـتهيه قلبـي وينبـت في شراييني.

أغمـض عينـي ولا أرى سـوى خيالـك نثـاراً مـن ضـوء ينـوس في التـلاشي بـين الحـين والحـين وقمـة الجبـل تـردد صراخـي وتلعـن شـوقي ومـا عـادت تسـعفني أهـاتي لا ولا أنـين أحـرفي ولا كلـماتي عـادتْ تحتويـني.

(118)

أقـف متأرجحـة .أمامـي . أسـئلة شـقية.. عصيـة تشـاكس يـا سـيد اللحظـات تجـر خلفهـا علامـات الاسـتفهام الكبـيرة وكطفـل اسـتعصت عليـة الأسـئلة يـوم الامتحـان الرهيـب .. أحملـق بشـدة أمامـي.. أتلعثـم .. ولا أجـد إجابـات عـلى جـسر هـذه الأسـئلة أحـاول المـرور إليـك .. أحمـل ثقـل ينحنـي لـه ظـلي .. أشـواقي .. وحنينـي .. وأشـياء أخـرى كثـيرة غامضـة ..

أقـف عـلى حافـة هاويـة .. وأنـت عـلى مرمـى البـصر أمامـي وأمامـي كل إجـراءات العـالم لمنـع المـرور.

لاءات مصلوبـة يـا سـيد اللحظـات .. ووقـت لا يسـمح .. وشـفرات لا سـبيل لفـك رموزهـا المكتوبـة بلغـة عرجـاء بأحـرف إلكترونيـة باهتـة وأنـا امـرأة تحتلنـي ألـف امـرأة .. كل واحـدة قـادرة عـلى تسريـب الحـب وتمريـر الجنـون ورشـوة الوقـت وكـسر الشـفرات ... ألـف امـرأة تترصـدك ..تتسـلل عـبر منافـذك وتمـد ألاف الجسـور .. وتزحـف عـلى أوردة القلـب إليـك .

(119)

كيف أحدثك .. وكلماتي محكوم عليها بالنفي وصرخاتي محجوزة آهاتي مقيدة.. أبجديتي مشدودة بأغلال داخل أبواب موصدة كل هذا بمرسوم صادر من جلالتك.. كيف أحاورك ولا يوجد متسعاً للوقت؟

ولا يوجد متسعا لكل شيء معك .. حكمت ظلماً .وأسكتني قسوةً. ورحلت جوراً .. وساد صمت ثقيل في كلماتي .. انكسرتْ أحرفي داخل حنجرتي وأنكسر شيء أخر اسمه الخاطر .. لا تعرفه ..وصفحة براءتي أشهرها من بعيد لك .. ألوح بها .. لم أرتكب إثماً إلا حبك وتهمة اختلاس النظر إليك وتزوير بصماتي باسمك ..وسرقة لحظات عابرة معك وبعثرت حنيني كل مساء عالياً لإزعاجك بصوته الملتاع وصرخاتي .. التي تنطلق من شراييني لكنك عبثاً .. لا تلتفت بصدق مليء بالبكاء أقول لك وداعاً .. سأرحل .

(120)

أمـد يـدي نحـو البيـاض مـن قلبـي والبيـاض مـن أوراق دفـتري.. أتحسسـه أجـده بمسـاحة الكـون .. ترتعـش يـداي رهبـة أو ربمـا تقديسـاً وأجـدك في ..أعمـق نقطـة مرتكـزاً .. منتصبـاً وقـد وطئـت أعمـق جـرح حسـاس في القلـب لم يلتئـم مـذ فارقتنـي ..وأجـدك في أول صفحـة لتكـون لغتـي التـي أكتـب بهـا وأعلن..مـذ رحلـت أرهقنـي الفـراق كثـيراً .. وأرقنـي الشـوق وصارعنـي الحنـين وكنـتُ كلـما جـن جنـوني أمطـر كلـماتي... وأبعـثر عبـاراتي بيـأس فـوق أوراقـي كيفـما أتفـق.. أرسـم كلـماتي فترسـو ملامحـك فـوق صفحـاتي .. تبتسـم أوراق دفـتر الذكريـات الـسري ورقـة ورقـة وتزهـر ملامحـك فـوق السـطور سـطراً سـطراً ...وتقّبلـك الصفحـات. .وتنـام في حضنهـا .. تحتويـك .. تشـتهيك .. وكأي أنثـى أشـتعل ..غـيرة وغضبـاً.

تأكلنـي نـيران الغـيرة تتلبسـني سـورة العبـث والغضـب أمـزق أوراقـي ليـلاً كي أنـام وأتلـذذ لسـماع هسهسـة الأجـزاء الممزقـة وعندمـا أشـتاق إليـك أعـود ألملـم بقاياها..أركّبهـا في الصبـاح قطعـة قطعـة ... أُلملـم المنثـور مـن العبـارات وأجمـع المتسـاقط مـن الكلـمات وأبسـط أوراقـي حتـى تصبـح وجهـاً طيبـاً حنونـاً بملامحـك.

(121)

الشتاء يحرق آخر عود في المدفأة

والليل يستنزف آخر قطرة زيت في القنديل...

وأنا شاخصة البصر في وجه السماء تارة ... وتارة تتعلق نظراتي

بشفتي الكاهنة الشمطاء .. جاثية .. أتوسل إلى السماء

راكعة أرتمي بين قدميّ العرافة التي تدير ظهرها .. تنسل

وتعود في

غضب.. تبصق في اشمئزاز .. تتركني بعد أن تعلن بوعيد

غاضبة

-أرحلي .. أرحلي لا تعويذة لدّي لإنسان يحب إنسان

في كل ثانية مليون مرة.

(122)

يبدأ الدرس أنظار الطالبات تتعلق بي وبالسبورة ... أكتب عنوان الدرس وأشرع في شرح أحدى النظريات العلمية المعقدة.. أرى ذاتي تنفصل عن المعلمة .. تنسلُّ في هدوء إلى مكان قصي من الفصل .. تهمس ذاتي .. هذه المعلمة تضطهدني.. أنها تصادر كل رغباتي وتقمع حريتي .. وتقتل فيّ كل رغبة للإنعتاق.. والإبداع.. والتألق .. صورة المعلمة تصغر حتى تصبح مسخاً باهتاً يبتعد عني.. أبغض ذاتي في المعلمة وأبغض المعلمة في ذاتي وأنزوي .. أنكمش داخل مقعدي .. أتناول ورقة وقلم رصاص وأحاول رسم ملامحك المحفورة بعمق في داخلي.

(123)

أغوص في تفاصيل كلماتي بلذة أبحث

عنك .... لم تكن هناك فحسب بل

كان حضورك ساطعاً أقوى من الكلمات..

كنتُ أكتبك .. تحت ضغط هائل من

الفقدان والغربة .. وكنتَ تتفوق حتى على

أنين الكلمات وحنينها ..

تنبثق من بين الحروف الساخنة .. تهز رأسك ..تتكئ على

الهمزات..

تتفقد النقاط .. تتهجى العبارات .. و لا يعجبك شيء

فقط تبتسم ابتسامتك الساحرة في خبث

تغادر حائط دفتري .. ثم تهمس

أستمري أنني أقرأ.

obeikan.com

(124)

أستنجد بأوراق دفتر متآكلة الأطراف

وأدس بصري الزائغ بين السطور

أستغيثُ بالحروف وبالكلمات..

ونغمات هاربة شجية تنبعث من

مذياع ما .. لكن الكلمات تذكرني بك ..

والأغنيات تردني إليك

وبين

دفتي كتابي المتآكل الأوراق أدس صورتك

فأين المفر ؟

oberkan.com

(125)

كـم أشـتهي أن أكتبـك يـا سـيد اللحظـات.. فلقـد اسـتعصت كلماتـك زمنـاً طويـلاً .. رأيتـك فانهمـرت كل الكلـمات التـي ظلـت عالقـة بـين القلـب وسـن القلـم .

رأيتـك وراء ضبـاب الاشـتياق ملتحفـاً بعبـاءة مـن عطـر الحنـين النفـاذ ومتواريـاً خلـف جـدار الذاكـرة تـدور في حـارات القلـب حـارة حـارة .. وترتـاد زواياه زاويـة زاويـة ، وتقـف عنـد أعتـاب أبوابـه .. بابـاً .. بابـاً .. تلـج مداخـل أوردتـه .. وتغلـق منافـذ شراييـنه فـلا يوجـد في القلـب نزيـل سـواك .. فأعبـث كما تشـــاء أعبـث بألمـي .. حنينـي ..فواصـل عشـقي .. وحـدودي .. بعـثر اشـتياقي وأحـذر أن تمـزق قلبـاً كان وسـيظل منفـاك وسـكناك.

(126)

في غيابك أرقتنني الرؤى .

انتابتني الهواجس ..

زارتني الشياطين

و كل المردة و العفاريت .. أتدري ؟

لم يرحمني منهم أحد ..

و لقد كان عقاباً قاسياً

أن أرسم ملامحك على السبورة بطباشير لا يراه

أحد.

obeikan.com

(127)

أفتح عيني تارة وتارة أخفضهما ..أوجه

بصري الحاد صوب البحر شمالاً ..أرنو .. لعل طيفك الحـبيب

يتمثل

سحاباً يرتسم في الأفق .. فمنذ أمد طويل لم تطرف لي

عين .. ولكن عبثاً لا أرى أحدا.

obeikan.com

(128)

أصبحتُ لا أرى طعماً للحياة خارج مدارات وجودك ورقة.. وقلم ينزف وحنين..
ميسبقني إليك يا سيد اللحظات أشعر بأني أقطع الفيافي والقفار لأصل .... لكنني لا أصل.
بيننا مسافة ما لم أشعر بأن لها وحدة قياس .. ولا أدري بأي وحدة طول يمكن إن تقاس ..المتر لا يساوي المتر .. والكيلومتر تنقلب سنتمتراته وتنكمش وتتلاشى.
ووحدة قياس القلب محصلتها تساوي صفر لأنك في عمق القلب تسكن وفي أوردته تتضاعف وعلى مدارج الروح تتنزه وفي عمق الذاكرة تستريح فأين الملاذ ؟!
وكيف المستقر ؟!!
لم أشعر أبداً بمسافة بيننا تمنعني من الحلم والقبض على اللحظات معك عند أعتاب الزمن المستحي .. تباً لي وسحقاً لغروري وعنجهيتي سحقاً ..كم أتقن اشتهاء طعم المستحيل وبلوغ قمته وتذوقه معك.

(129)

العتمة كانت أكبر من كل شيء.. وفي عمق الظلمة .. والخوف والوحدة.. كنت أبحث عن من ينتشلني من المعصية .. كانت العتمة أكبر من مساحة القلب والروح والذاكرة .. نهضت من فراشي في الثلث الأخير من الليل منكسة الرأس والراية .. منكسرة الفؤاد والنفس .. أردت طلب حق الجوار .

أستجير بك من الخطيئة ... من زلل القلم وزلة اللسان من عبارة حب طائشة لكنها تصيب هدفها في مقتل ..كنتُ أريد أن أصرخ بك من كل آثام العشق... وذنوب الحنين .. حتى لا يضلُ قلبي.. ولا يتوه عقلي ،

لكن لغتي استعصت على أزرار طابعتي ..انسحب قلمي بهدوء وتخلى عني.. جف الحبر.. وتحجرت دمعتي في صدري ولم تسعفني حتى أبجديات جنوني التي كنت أكتب بها، عزّ علىَّ إفلاسي من كل شيء حتى الصرخة ماتت.. غاصت في ظلام القلب، و لم يكن لي حتى حق البكاء على أعز مفقوداتي .

لم تُجدِ أي صلاة في محرابك.. لم يُقبل أي تضرع.. ألتفتُ إلى كل الاتجاهات علني أجد من يبلغك آلامي .

كنتُ بحاجة ماسة إليك ..توقظني من غفوتي وغفلتي.. أحتمي بكلماتك من نفسٍ قاسية أمارة بالسوء.. من ذنبٍ لا يغتفر.. من هاويةٍ بلا قرار، لذلك استعنتُ بكل ما لدي من قوة سحر.. قرأتُ كل التعاويذ.. سكبتُ كل الأحجبة ..بعثرتها في كل طريق يؤدي إليك.. تجرعت كل الأدوية والسموم .. وعلقت التمائم على الأبواب والحيطان ورشقتها بين طيات ملابسي.. قرأت كل كلام الجان.. والعفاريت بالمقلوب بخرت حروفها بين وسائد مخدعي مع عطري.. استعنت بسحري ونحري واستعنت بكل شيء لأقول بلسان عربي فصيح غير ذي عوج... مد يدك كي أصل إليك ... لكن الإثم العظيم قتل صرخة النداء المبين وخطايا النفس التي تكاثفت وصارت كالجبل سدت قامة عنفوان اللحظة ساعة الإصغاء ولحظة الرحمة التي مددت فيها يدك إلى لتنتشلني من هاوية النفس السحيقة وما عصيتُ حبك ولكن سولت لي نفسي .

(130)

لم أجد لغة تستوعب حنيني سيد اللحظات .. تتحمل عناء الشوق والألم وتكتب التيه والجذب والجنون.. وتدون لحظاتك الغالية بدقة الحب غير المتناهية .. لم أجد لغةتفهم عذاباتي وغربتي .. وتطفئ حنيني داخل القلب .. وتلم شغافه الممزق وتحنو لتضمد جرح الروح والذاكرة والجسد.

لم أجد لغة تستوعب الصرخة التي تنطلق في صمت.. لم أجدها ترفع عني كآبة أكلتْ كل سنين عمري ولم تبق متسع من الوقت للفرح..

لم أجدها تكتب ما أخاف عليه من ذاكرة قد تتلف بفعل تقدم الزمن وقد تهاجمها فيروسات العمر والشيخوخة.. لم أجد لغة تنسخ محتويات القلب وتحتفظ بملفات الذاكرة وتسجل لحظات الحنين وتحرس بيانات الروح.

لستُ أدري كم استمرت لحظاتك تعذبني يا سيدي سبع ثواني أم سبعة قرون .. لكنك لا تدري بأنها أصبحت فوقطاقة لغتي التي هربتْ مني الليلة وأنا ساذجة أمسك قلمي.. أحملق في ورقتي أنتظرها بشغف ولا أتوقع هروبها!!.

(131)

الهدوء والصمت يتآمران في بيتنا ... يحيكان ستار من نسيج عجيب يدفع بي رويداً رويداً إلى مصافحة القلم والورقة.. والجلوس إلى مكتبي .. لكنني أحجم عن فعل أيما شيء.. مشاعري تتضارب والكآبة غول يلتهم صدري .. فأجلس إلى طاولتي في ضيافة أصدقائي الثلاث .. القلم والورقة والكآبة أحاول فك شفرات أحاسيسي وترجمتها إلى عبارات قابلة للقراءة.. كلمات لا تحتاج إلى ترجمان لفك رموزها .. لكن اللغة العادية تشاكسني عندما أتحدث عنك.. والمفردات المتعارف عليها تهرب مني عندما ألفظ أسمك ولا أستطيع أن أعبر بطريقة مفهومة عن مشاعري وأحاسيسي المذهلة لك...
فجثوت استغفارا لكل الكلمات التي تقيأتها سراً وأنا أهذي بك وللحبر الذي أرقته هدراً دون فعل أي شيء من أجلك... واستغفارا لك ... فلماذا قلبت قوانين العشق العتيقة ورشقتك بسن قلمي كي تبعثر الحبر هدرا فوق صفحات دفاتر خواطري السرية وتجوس بين حروف أسمك في أبجدية قصة حب طويلة مخجلة لا نهاية لها وأسال في خبث ما السر البديع الذي تخبئه بين طيات حروف اسمك الذي اردده همسا كتعويذة تقيني من كل شرور الدنيا وأهذي به تحت غطائي السميك وأنا مغمضة العينين في ليالي الشتاء الطويلة .

(132)

في حضورك غياب مفجع يزيدني يقينا بمغادرة ساحة أنت سيدها .. أحاول الضحك على نفسي وأغفو ساعة اللقاء .. أو أن أشاكسك وأقوم بتبديل صورة ذلك اللقاء .. أو تغيير زمن اللحظة المتمردة والمتخمة بالشوق والحنين .. تلك اللحظة النادرة التي أنتظرها بفارغ الصبر .. عندما تحل .. عندما تحل أسطرها هرباً على امتداد إسفلت شارعنا الملتوي وأنقشها خطيئة تتدلى من أغصان أشجار " السرو" التي تطوق بيتنا الرابض كشبح الأدغال.. تنتشلني الأعذار الواهية التي انسجها من هول لحظة صدق تستعصى على فهمي .. وتتمرد على مداركي .. أعود بعدها مثقلة بالخوف والندم وفجيعة غيابك الحاضر بعدها أعلن فشلي الذريع في أن تكون لي واحداً..

واحد من عدة رجال واحد فقط يقاسمني ماء ازرق اسمه الحبر ولعنة بلا لون اسمها الكتابة وسائلا يهطل بغزارة ويقترب في أخاديد عميقة فوق صفحة خدي يستعصي عن التوقف أخر الليل أتدري؟ خبزنا لعنة وملحنا معاناة وندم !

في حضورك غياب وفي غيابك حضور عجيب يدفع بي إلى ارتكاب المزيد من الحماقات التي نسميها كتابة هذا العطاء المغموس بأشياء أنت أدرى بي منها .. لا أريد أن أنسلخ عن شيء يسكنني منذ أمد ويتوغل كالسرطان داخل خلاياي .. لا أريد أن أخسرك .. هل أردد لا أريد أن أخسرك .. أن أفقدك معناه أن أفقد مساحة بيضاء أسمها الورقة .. ورفقة صديق له رأس مدبب أسمه القلم يتبعني كظلي وحلم حزين أعشقه.. أأقطع حلمي أو أشوه صفحة ورقتي بهراء تافه أأكسر بوح رأس صديقي المتعثر في خطوه .

السيرة الذاتية

- خيرية فتحي عبد الجليل

- مواليد مدينة البيضاء

- خريجة جامعة قاريونس - بنغازي

- المهنة :- معلمة ثانوي - تخصص كمبيوتر.

- تكتب الخاطرة والقصة القصيرة

- أعدت في صحيفة الجبل الأسبوعية بمدينة البيضاء 1998/م وصحيفة الكلمة الحرة البيضاء 2012/م

- أعدت للإذاعة الجبل الأخضر عدة برامج ثقافية واجتماعية

- شاركت في عدة أمسيات للشعر والقصة القصيرة

- تحصلت على جائزة الترتيب الأول في مجال القصة القصيرة على مستوى ليبيا ضمن مهرجان لمواهب الشابة الذي أقيم في مدينة بنغازي. سنة .....1996 م

- تحصلت علي الأول في مجال القصة القصيرة على مستوى ليبيا للمعلمين عن قصتي شيخوخة وقصة صرخة سنة 2000م .

- نشرت في صحيفة الوطن الإلكترونية

- والآن أحد أعضاء تجمع ناشرون وهو تجمع الكتروني علمي ثقافي أدبي عام لمحبي العربية، أعضاؤه أدباء ومؤلفون وأساتذة جامعة، ودور نشر وتوزيع ومعارض كتب، وقراء وطلبة علم، يلتزمون جميعا بالاحتفاء بالصدق والعلم- الأردن

حاليا : أقوم بتحرير صفحة شظايا أدبية بصحيفة شمس الحوار الصادرة بمدينة البيضاء

أحرر صفحة واحة النصف الأخر بصحيفة
"الكلمة الحرة " التي تصدر بالبيضاء
نشرت في صحيفة طنجة الأدبية - المغرب
نشرت في الصحيفة الثقافية ، صحيفة الكلمة التي تصدر بلندن
نشرت عدة مقالات في صحيفة " ليبيا المستقبل " التي تصدر - لندن .
كما نشرت في مجلة أوتار الخليجية
الآن بصدد تحرير صفحة ثقافية بصحيفة الرؤية الليبية
المواقع الإلكترونية
/http://fulawaha.over-blog.com
/http://waha2014.blogspot.com

obeikan.com

obeikan.com

obeikan.com

"لا تسجن معرفتك و بادل كتبك"

القراءة هي الحياة، فنحن نقرأ لنتعرف على خبرات وحكايات الآخرين، نقرأ لنتعلم شيء جديد، لنتعرف من قرب على عوالم قد لا نعرف عنها شيء، لذا صديقي القارئ لا تسجن معرفتك وبادل كتبك مع الآخرين.

فلا تجعل هذا الكتاب يقف بين يدك وحدك، فمن خلاله قد تكون أستمتعت، وتذوقت متعة القراءة، وقد تكون تعرفت على شيء جديد، فلا تبخل عن من حولك بهذه المتعة.

موقع دار الكتب
"نحن نحترم الكتاب"

openkan.com

obeikan.com

إصدارات موقع دار الكتب:

١. فيرجينيا سيكريت
٢. صاحب المقام
٣. ومضات
٤. بلا اسامي بلا وجوه
٥. رياح القبور
٦. الفوضى العالمية
٧. طال الرنا
٨. مدينتنا غير الفاضلة
٩. على من نطلق الريح
١٠. قصائد في عشق النساء
١١. ومضات من الماضي
١٢. حوار مع النفس
١٣. كارمن
١٤. ومضات من الماضي
١٥. رياح القبور
١٦. كلام لن يفهمه غيرك
١٧. الفرنسين والشرق
١٨. اغتيال رفيق الحريري
١٩. البحر الميت وكفة برج الميزان
٢٠. العمر لحظات
٢١. ومضات
٢٢. آية الله الخميني بين الثورة و الطغيان.
٢٣. قبل أن أموت.

obeikan.com

٢٤. فتاة شرقية.
٢٥. كاتيا.
٢٦. شمس.
27. التعلم النشط.
28. نبضات مغترب.
29. رأيت الشيطان.
30. حل قضية الجبر والاختيار وقضايا آخرى.
٣١. لوزة قطن.
٣٢. حياة وحنين.
٣٣. رحيق العمر.
٣٤. عواطف.
٣٥. الوهم.
٣٦. الاعجاز العلمي في القرآن الكريم.
٣٧. تاريخ مصر الفرعونية.
٣٨. ديوان البت سعاد.
٣٩. الكفايات المهنية للتعليم ما قبل الجامعي.
٤٠. الموعد
٤١. اذا لم تزد على الحياة شيئا كن انت زائد عليها
٤٢. عائدون من بين الانقاض
٤٣. -حذاء جديد
٤٤. حلقات مفرغة
٤٥. يوميات طبيب في وطن مسلوب
٤٦. أصحاب الكرش
٤٧. جئت ورحلت
٤٨. سخصية مصر

obeikan.com

٤٩. ديور... ابن الحرب
٥٠. رجل مدخر
٥١. ليلة فى الرنفة
٥٢. استراتيجيات التسويق عبر الفيس بوك
٥٣. يوميات مع نفسى
٥٤. سلسلة القائد المتوازن.
٥٥. يوميات واحد فيس بوكاوى
٥٦. نصف انسان
٥٧. اريد ان اكون زوجة ثانية

obeikan.com